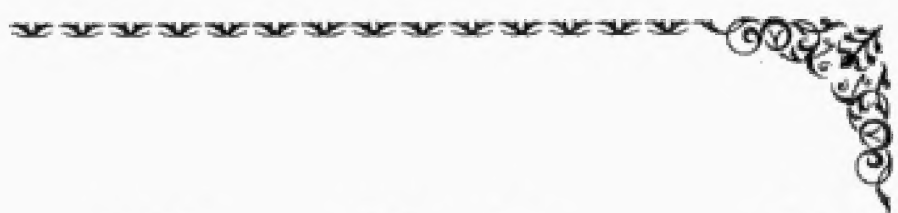


أخي العزيز  
من فضلك

إذا أعجبك الكتاب فم يشترائه



**الدعوة إلى الله**



## الناشر: دار الفاروق للنشر والتوزيع

### 👉 الجائزة على الجوائز الآتية 👈

- جائزة أفضل ناشر ثقافي عام في مصر لعام ٢٠٠٤
- جائزة أفضل ناشر للأطفال والناشئة في مصر لعام ٢٠٠٣
- جائزة أفضل ناشر مدرسي في مصر لعام ٢٠٠٣
- جائزة أفضل ناشر للترجمة من وإلى اللغة العربية في مصر لعام ٢٠٠٣
- جائزة الإبداع في مصر لعام ٢٠٠٢ (الجائزة الذهبية)
- جائزة أفضل ناشر علمي وجامعي في مصر لعام ٢٠٠١
- جائزة أفضل ناشر علمي وجامعي في مصر لعام ٢٠٠٠
- المركز الرابع كأفضل دار نشر على مستوى العالم
- في مجال الترجمة في معرض فرانكفورت عام ٢٠٠٠

وسط البلد: ٣ شارع منصور - المبتديان - متفرع من شارع مجلس الشعب

محطة مترو سعد زغلول - القاهرة - مصر.

تليفون: ٧٩٥٣٠٣٢ (٠٠٢٠٢) - ٧٩٤٣٢٠٣ (٠٠٢٠٢)

فاكس: ٧٩٤٣٦٤٣ (٠٠٢٠٢)

العنوان الإلكتروني: [www.darelfarouk.com.eg](http://www.darelfarouk.com.eg)

حقوق الطبع والنشر محفوظة

لدار الفاروق للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى ٢٠٠٥

عدد الصفحات ٢٢٤ صفحة



رقم الإيداع ٨١٢٥ لسنة ٢٠٠٥

الترقيم الدولي: 977-345-938-1



# الدعوة إلى الله

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر  
جاء الحق علي جاد الحق  
رحمه الله







## التعريف بالإمام الأكبر

### فضيلة الشيخ جاد الحق

#### مولده ونشأته:

هو فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق، حنفي المذهب، ولد بجهة بطرة مركز طلخا محافظة الدقهلية في عام ١٩١٧م، حفظ القرآن الكريم وجوده بعد أن تعلم القراءة والكتابة بكتاب القرية، ثم التحق بالجامع الأحمدى بطنطا في سنة ١٩٣٠م واستمر فيه حتى حصل على الشهادة الابتدائية في سنة ١٩٣٤م وواصل فيه بعض دراسته الثانوية، ثم استكملها بمعهد القاهرة الأزهرى حيث حصل على الشهادة الثانوية سنة ١٩٣٩م، بعدها التحق بكلية الشريعة وحصل منها على الشهادة العالية سنة ١٩٤٣، ثم التحق بتخصص القضاء الشرعى في هذه الكلية، وحصل منها على الشهادة العالمية مع الإجازة في القضاء الشرعى سنة ١٩٤٥م.

#### • مناصبه:

عمل فور تخرجه موظفًا بالمحاكم الشرعية، ثم أمينًا للفتوى بدار الإفتاء المصرية، ثم قاضيًا في المحاكم الشرعية، ثم تدرج في القضاء بعد إلغاء المحاكم الشرعية حتى أصبح مفتشًا أول بالتفتيش القضائي بوزارة العدل.

#### • منصب الإفتاء:

عين فضيلة الإمام مفتيًا للديار المصرية عام ١٩٧٨، فكرس كل وقته وجهده في تنظيم العمل بدار الإفتاء، وعمل على تدوين كل ما يصدر عن الدار من فتاوى في تنظيم دقيق حتى يسهل الاطلاع عليها عند الحاجة في أقل وقت ممكن، ثم توج

عمله بإخراج الفتاوى التي صدرت عن الدار في قرابة ثمانين عاماً من سجلات الدار حتى تكون في يد كل مسلم يريد الاطلاع عليها والاستفادة منها.

### • وزارة الأوقاف ومشيخة الأزهر:

في يناير من عام ١٩٨٢ اختير فضيلته وزيراً للأوقاف، وفي نفس العام صدر القرار الجمهوري بتعيين فضيلته شيخاً للأزهر.

### • إنتاجه العلمي:

لفضيلته العديد من الأحكام القضائية التي اشتملت على بحوث واجتهادات فقهية أخرجها طوال عمله بالقضاء، وكذلك البحوث الفقهية والتقارير الفنية في التفتيش على أعمال القضاة.

وقد تم نشر هذه البحوث في مجلة المحاماة الشرعية وغيرها من المجلات. أما الفتاوى فتأبى بثابة بسجلات دار الإفتاء وبها مجموعة من الفتاوى الخاصة بأمور مستحدثة لم تطرح للبحث من قبل. هذا بخلاف الأبحاث المطولة التي قدمها فضيلته في المؤتمرات التي شارك فيها أو التي ترأسها.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

**وبعد :**

فبتوفيق من الله عز وجل جمعت المقالات والأحاديث التي كتبها صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الشيخ/ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر الشريف، وقد سجلت هذه الأحاديث لمحطات الإذاعة المرئية والمسموعة المختلفة منذ أن تولى فضيلته مشيخة الأزهر عام ١٩٨٢م. كما أن بعض المقالات نشرت في الصحف اليومية والمجلات المختلفة وبعضها الآخر مازال محفوظاً.

وقد وردت مكاتبات من جهات مختلفة تطلب جمع هذه الموضوعات وطبعها في كتب حتى تكون متداولة بين الناس ويمكن الاستفادة بها كتراث مفيد، وكان هذا في الاعتبار حيث قام مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بجمع هذه الموضوعات وترتيبها وإعدادها وتجهيزها وتبويبها وبعد إذن وموافقة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر تم تقسيم هذه المقالات إلى مجموعات تحمل كلها عنواناً عاماً واحداً (أدعُ إلى سبيل ربك) وكل مجموعة تحمل عنواناً خاصاً.

فهذا الكتاب هو الأول: بعنوان: (الدعوة إلى الله)، والكتاب الثاني: بعنوان: (النبي في القرآن)، والكتاب الثالث تحت عنوان: (أخلاقيات).

وقد سبق أن المكتب أصدر لفضيلته سلسلة أخرى تحمل العناوين الآتية: (الفقه الإسلامي - مرونته وتطوره)، (مع القرآن الكريم في شهر رمضان)،

(أحكام الشريعة الإسلامية في مسائل طبية عن الأمراض النسائية)، وسلسلة أخرى بعنوان: (بحوث وفتاوى إسلامية في قضايا معاصرة) وقد صدر منها خمسة أجزاء، ويعد الآن لإصدار الجزء السادس وما يليه - إن شاء الله.

أما الكتاب الأول الذي بين أيدينا، فيشتمل على موضوعات في الاقتصاد الإسلامي وأسسها في القرآن الكريم، وهموم المسلم المعاصر من منظور إسلامي، وحقوق الإنسان من منظور إسلامي، والأقليات الإسلامية، ورعاية الإسلام للمصلحة وتيسيره على الناس.

والإسلام كرسالة عالمية يخاطب الناس جميعاً على أساس العدالة والمساواة والمصالح المعتبرة في الإسلام ومنهج التدين في الإسلام ودور المسجد في التوجيه الاجتماعي للمجتمع المسلم والإسلام والسلام مع الله ومع النفس ومع الناس.

ويعرض كذلك لدعائم الوحدة بين المسلمين وحرص الإسلام على طهر الغاية وشرف الوسيلة والعقيدة وأثرها في الإصلاح والأمومة في الإسلام والأموال واستثمارها في الإسلام وصور من يسر الإسلام وأدابه والعلم والتعليم في الإسلام وأهمية النية في الإسلام ونظرة الإسلام إلى المال والعمل.

ويعرض أيضاً لتكريم الله للإنسان وحرمة قتل الإنسان إلا بالحق وكيف يكون المسلم مع خالقه ومع مجتمعه وحق الطريق ويذكر وسائل بناء الشخصية في الإسلام وكيف أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وأن قوة الأمة في وحدتها.

ويتناول أيضاً واجب الأزهر في نشر الثقافة الإسلامية الصحيحة ودور الأزهر في تحقيق التآلف والتضامن بين الشعوب الإسلامية ومشاركة الأزهر في صياغة نظام إنساني عالمي وحوار الثقافات العالمية ودور الأزهر فيه.

## مقدمة

مما سبق، يتضح أن فضيلته تحدث في موضوعات شتى تهم كل قارئ وتفيد كل باحث، وتثري المكتبة الإسلامية.

أسأل الله تعالى القدير من فضله العظيم أن تكون هذه السلسلة مما يعم بها النفع، وأن يجزي فضيلته خير الجزاء، وأن تكون في ميزان حسناته ومن عاونه. وسيتوالى - إن شاء الله - إصدار هذه الأجزاء. والله من وراء القصد.

**وكيل الأزهر**

**(أحمد السيد أحمد مسعود)**





## الدعوة إلى الله

ألقى الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق كلمات هادفة في مناسبات إسلامية جاهرة، كان لها سبيلها الواضح في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، كما كتب عدة مقالات تنحو هذا المنحى في ظروفٍ تتطلب الهداية الموجهة، والإرشاد المصلح، فكان ما ألقاه وما كتبه موضع اهتمام ممن سمع ومن قرأ. وتوالى الرسائل من شتى الجهات تطلب هذه التوجيهات، فكان صاحبها الكبير يرسل صوراً منها لمن سأل، ثم رأى أن يجمع بعضها في مجموعة متصلة تغني عن الإرسال المتقطع، لتكون في ائتلافها المتماسك أيسر سبيلاً إلى القراء، ولتؤدي دورها الهادي في إيقاظ الوعي وإذكاء الهمم وتنوير الأذهان وأقول تنوير الأذهان عن عمد، لأن لفظ التنوير اليوم قد بُعد عن سبيل الحق في كثير مما يغري إليه، فالتنوير من النور، ولن يكون إلا من مشكاة كتاب أرسله الله نوراً للناس، وحدد معالمه إذ قال جل شأنه:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢﴾﴾ (١)

(١) الآيتان ١٥، ١٦ من سورة المائدة.



## الدعوة إلى الله

وإذا كان هؤلاء يذكرون الأستاذ الإمام محمد عبده - رحمه الله - في طليعة من يدعونهم من أصحاب التنوير، فلماذا لا يسلكون سبيله في الدعوة إلى دين الله والعمل على إقامة الشرع الإسلامي في ظل وارف من كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد الأئمة الأخيار ممن فقهوا الدين على وجهه الصحيح؟

هذه خاطرة سنحت لأدنى مناسبة. وأعود إلى هذه المجموعة، فأجدها حقلاً نضيراً يجمع الثمر الهنيء متشابهاً وغير متشابه، وهي في لبابها ذات مضمون متحد، ولكنها في تنسيقها التألفي في كتاب متصل الفصول يدعو إلى تقسيم متقارب، بحيث يبدأ القارئ بكلمات ذات طابع عام عن الإسلام بمعناه العام. ثم يجد كلمات تالية ذات خواطر قرآنية تستمد معانيها من كتاب الله، ويثث بمجموعة تتحدث عن السلوك الخلقي كما عناه الإسلام. وقد قلت إن المضمون العام متحد، وأن الروح الدينية الشائعة لا تمنع أن يندرج بعض في بعض، ولكن محاولة التقسيم أهدى إلى إنارة القارئ، وتبصيره بما يعين.

ففي المجموعة الأولى، يجد الدارس فيضاً من المعاني يعين على تحديد رأي الإسلام في مختلف الآراء المتضاربة. وقد يلحظ الناقد سهولة الأول، ويسر التعبير بالقياس إلى ما يدري عن الإمام الأكبر مع بعد الغوص ودقة الخوض في فتاويه الفقهية؛ لأنه في المجال الثاني يخاطب فقهاء أصلاء، ويحرص على استتباب المجهول من المعلوم، وهو في المجال الأول يحرص على أن ينتفع كل قارئ - أياً كان مستواه العلمي - بما يقرأ من التوجيهات. لذلك سار حديثه شفافاً رائقاً يرده الضامى فيرتوي مستريحاً، وقد عناني من هذه الكلمات ما تحدث به الإمام عن هموم المسلم المعاصر وعن حقوق الإنسان في المنظور الإسلامي وعن تطبيق الشريعة الإسلامية وعن دعم الأقليات المسلمة في شتى بقاع العالم شرقية وغربية، لأن هذه الموضوعات ذات رنين مؤثر في قلوب المسلمين جميعاً!

## الدعوة إلى الله

ففي الحديث عن هموم المسلم المعاصر وملاحم هذه الهموم من منظور إسلامي، أشار الأستاذ الأكبر في نبرة أسية إلى ما زرعه الاستعمار في أرض المسلمين من مواطنين هم أشد على الشعوب الإسلامية ظلماً وفتكاً من سابقهم، إذ دَعَوْا إلى الثقافة الوافدة، والتغريب الدخيل، قصداً إلى انحراف المسلمين عن عقيدة الإسلام. وقد نجح هؤلاء في تفريق الكلمة واصطفاء زعامات تبحث عن مطامعها الشخصية وتتخذ الشعارات سبيلاً إلى بث الفتن وإثارة الانقلابات؛ فوقعَت الواقعة وصار بأس المسلمين بينهم في ديارهم شديداً، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى.

يقول الإمام الأكبر:

ومن هنا، تعمقت الخلافات، ووجهت المساعدات، فتساقط البعض في فتنة المال، والبعض في فتنة السلاح الذي أغرى حملته إلى استعماله في إثارة الفتن، وإشاعة الخوف والاضطراب في صفوف الشعوب الإسلامية، وراحوا مع هذا يبتثون بذور الفتن والشك في الثقافة؛ ليشغل الناس بما فتنوا به عن النشاط المثمر. وتعمقت الخلافات الفرعية والمذهبية، وكانت الجماعات والجمعيات المتخالفة والمتخاذلة.

ومضى الحديث متتابعاً عن الواقع الاجتماعي، إذ لم يكن بأوفر حظاً من الواقع السياسي، حيث انزع المسلم عن مثل الإسلام، وانقرط عقد الأسرة، وفقد التراحم والتواد، ثم كانت الطامة في الواقع الاقتصادي حيث غلب النظام الاشتراكي في أكثر دول العالم الإسلامي، مع أن المسلمين لديهم نظامهم التشريعي: زراعة وصناعة وتجارة واقتصاد.

هذا بعض ما قيل عن هموم المسلم المعاصر. أما ما كتبه الإمام الأكبر عن حقوق الإنسان في المنظور الإسلامي، فهو مع سهولته الواضحة دسم غزير المادة،

إذ بدأ بعرض ما يقوله رجال القانون من أن حقوق الإنسان والحريات العامة لا تدخل ضمن الحقوق القانونية، لأن الحق بمعناه القانوني لديهم يقابله الواجب، وهو غير متوافر في حقوق الإنسان. وقد ناقش الإمام ما يعنونه من كلمة الحق لينتهي إلى ما قرروه من أن بعض الحقوق الشخصية مثل: حرية الاعتقاد وحرية الاجتماع وحرية التعاقد تفقد مقومات الحقوق بالمعنى الدقيق؛ لأنها تثبت للناس كافة دون اختصاص بعضهم بها على سبيل الإيثار. ومن هنا، تكون تسميتها حقوقاً من باب التجاوز في التعبير!

هذا لباب ما يعنيه أصحاب القانون الوضعي في مفهومهم الخاص بالحق. وقد دفعه الإمام الأكبر بقوله: "أين منطق الدراسات الإسلامية في حقوق الإنسان؟ إذ الملحوظ منها أنها تتضمن التزامات أو واجبات على طرف يكون في ضمنها مصالح وحقوق لطرف آخر. فالأمر بأداء الأمانات إلى أهلها أوجب حقاً لأصحاب الأمانات أن تؤدي إليهم، والنهي عن بخس الناس أشياءهم يتضمن تقريراً لحق الآخرين أن تحفظ عليهم أشياءهم، والنهي عن قتل الإنسان بغير نفس أو فساد في الأرض يتضمن بدالته حقاً لكل نفس أن يحافظ عليها وألا يسفك دمها في غير قصاص." ومضى الباحث يعرض أمثلة شتى من الإحسان، ومسؤولية الحاكم وحق الرعية ومبدأ عدم الإكراه في الدين، إلى أن قال: "وأول من نبه من علماء المسلمين على قيام العلاقات بين الناس على أساس رابطة من الحقوق والواجبات هو الإمام الغزالي في كتاب "إحياء علوم الدين" منتهياً إلى أن فكرة تكريم الإنسان، وهي القاعدة التي أقيمت عليها حقوق الإنسان في هذا العصر أساسية في الشريعة الإسلامية، وأن المصالح والمنافع والرخص والمباحات التي تضمنتها نصوص الشريعة لصالح الفرد والمجتمع يسوغ أن تسمى حقوقاً للإنسان في لغة العرب، لا سيما في ميادين الحرية والمساواة والشورى والأمن والتعاون على البر

## الدعوة إلى الله

والتقوى، بل يكفي أن يكون عنوان حقوق الإنسان في الدراسات الإسلامية قول الله:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَهُمْ فِي الْوَحْشِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ طَيِّبَاتِ الْفَاكِهَةِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (١)

أما صيحة الإمام الأكبر الحازمة التي نشرها تحت عنوان "تعالوا إلى كلمة سواء"، فقد كشفت ما أحدثه العلمانيون من بلبلة فكرية، حين تحدوا رغبات الأمة جميعها في ضرورة تطبيق أحكام الشريعة، وتذرعوا أسباباً لا تمت إلى البحث المنهجي بسبب. وهؤلاء جميعاً لا يعرفون عن فقه الشريعة ما يتيح لهم أن يتحدثوا عنها في قليل أو كثير. وقد خدعوا فريقاً من الناس واسترهبوهم بما خلعوا على أنفسهم من ألقاب لا تمت إلى الحقيقة بسبب، إذ أطلقوا لفظ "المفكر الإسلامي" والمجدد الإسلامي" وأمثال هذه النعوت الكاذبة على من لم يعرف عن الإسلام غير الهتاف بتنحيته عن التشريع، ومن يظن أن المسيحية كالإسلام دين لا دولة، مع أن كتاب الله واضح لا اشتباه فيه. وعاونتهم الصحف اليومية في نشر مقالاتهم المخطئة دون أن تسمح بالرد عليها لمن يملكون التصويب والتسديد! لذلك، كان الإمام الأكبر واضح الاتجاه حين صاح في وجوه هؤلاء قائلاً:

"هذا الجدل الصارخ الذي انعزل عن الطريق الحق عندما نحا بالقضية - قضية تطبيق الشريعة الإسلامية - إلى سبيل من الصد عن سبيل الله وعن الاستقامة إلى تحريف متعمد للمفاهيم والقيم الإسلامية، حتى لقد بلغ ببعض

(١) الآية ٧٠ من سورة الإسراء.



الكتاب أو المتحاورين التجاوز بأن قال: إن حدود الإسلام وأحكامه شرعت لتعقيد الإسلام، وقد تجاوزته الحياة الحاضرة بمعضلاتها وحضارتها!

إلى أن يوجه القول إلى القائمين على أدوات الإعلام من صحافة وإذاعة وطبع ونشر فيسألهم جاداً: "هل راعيتم حق الله والوطن حين تثيرون هذه الحملة الظالمة على الشريعة وتطبيقها وتأخذون سوء التطبيق أو انحرافه في بعض البلاد مثلاً على عدم صلاحيتها؟ فذهبتم تحرفون الكلم عن مواضعه بعلم أو بغير علم، وغاب عنكم أن هذا الشعب المتدين - مسلمين ومسيحيين - لا يرضى منكم ولا لكم هذا، بل إنه ليسوءه أن تهوي المعاول لهدم دينه وشريعته، بل وحدثه التي علت في كل الأزمات والملمات."

وفي كلمات الأستاذ الأكبر حول هذا الموضوع في شتى المناسبات الدينية - وكانت تأتلق في الصحف اليومية بمكان بارز - لا يخفى على قارئ ينشد الحقيقة، في هذه الكلمات ما يكفي لردع الهجمة الضارية على الشريعة من أناس لا يعرفون شيئاً عن جوهرها الصحيح وهم في أنظار أنفسهم "مفكرون إسلاميون" وفيهم من يعرف ولكنه يجحد الحق لحاجة في نفس ذات التواء.

ولا يقل تأثيراً ونفاذاً عن هذه الصيحة المدوية ما رده الإمام الأكبر كثيراً بشأن الأقليات الإسلامية وحل مشكلاتها من جانب العالم الإسلامي. ويقيني أن كلمات الإمام الأكبر تفسح الطريق إلى دعوة مؤتمر عام يجمع ممثلي الإسلام من شتى بلاده، ليرصدوا مأساة هذا الهجوم الوحشي على دول إسلامية كل آثامها أنها تتمسك بدين الله، ولا تُسيء إلى أحد، وقد مضى زمان كانت أوروبا فيه ترمي الشعوب الإسلامية بالتعصب بغياً دون حق، حتى قال شاعر النيل حافظ إبراهيم:

أو كلما باح الحزين بأنة أمست إلى معنى التعصب تنسب

## الدعوة إلى الله

مضى هذا الزمن، حين سفرت أوروبا اليوم عن وجهها، وأيدت العدوان الباطل على بلاد الإسلام، بل ساعدت على استمراره واشتعاله بما يجعل كلمة التعصب أهون كلمة تقال في هذا السلوك الهمجي الشائن، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

أما الخواطر القرآنية - وهي القسم الثاني في المجموعة ، فقد تعتمد الإمام الأكبر سبيل البسط الميسر في منحائها التفكير، إذ خاطب بها المستمعين في شتى بلاد الإسلام، حين تحدث عن أدب الدعوة كما علم الله رسوله في كتابه العزيز، وحين تحدث عن المنحى الأخلاقي في القرآن، وعن الإنسان كما صورته الكتاب العزيز سلوكاً واقتداءً، وعن خطوط الإنقاذ من الموبقات كما وضحتها القرآن الكريم. وفي نطاق هذه الخواطر القرآنية، أفسح المجال للحديث عن رسول الله - ﷺ - كما جاء في كتاب الله، وعن رحمته بالمؤمنين، ومعجزته الخالدة على مرّ الأجيال. ولم ينسَ - وهو الفقيه البحاثة - حين تحدث عن فريضة الصلاة على رسول الله - ﷺ - أن يذكر قول الأئمة بهذا الصدد. فأشار إلى آراء مالك بن أنس والشافعي وأبي جعفر الصادق إشارة المؤيد المحبذ. ولا يتسع المجال لبسط ما تضمنته هذه الفصول من فوائد، ولكنني أقف عند بحث قيم سجله الإمام الأكبر تحت عنوان "مفاهيم حول القرآن - التفريط والغلو"، إذ جاء هذا البحث على سهولته الشفافة، حاوياً لما قاله الأخلاقيون عن النظرية الوسط في الميزان الخلقي، دون أن يرهق السامع باصطلاحات فلسفية لا داعي لها في هذا المجال، بل تحدث عن المعاني المحددة، من مثل ألفاظ: التفريط والإفراط والغلو والاعتدال، موضحاً مراتب الاعتدال في أدناها وأعلاها وأوسطها، ومستشهداً لكل مرتبة بما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف ومؤكداً ضرورة الالتزام بالوسط النافع. أما ما جلاه الشيخ الأكبر من حديث الغلو ومظاهره، فقد اتضح في قوله: بتصرف يسير:

"قد يكون الغلو في الدين بسبب المبالغة في الاندفاع بقوة ودون بصيرة طلباً لنوال أعلى الدرجات في الدين، وغالباً ما يرافق هذا الاندفاع حركة متسارعة واضطراب في الرؤية والفكر وفساد في التصور، وقد يكون الغلو في الدين بسبب سوء الفهم لحقيقة الدين؛ إما من اجتهادات المغالي أو اجتهادات معلمه وقائده. ومن هذه المغالاة إدخال الرأي الشخصي في قضايا الدين وأحكامه وشرائعه، دون أن يتأهل لذلك بالعلوم والأدوات المناسبة. وقد تأتي المنافع الدنيوية مع الرغبة في احتلال مركز التقدير، مضافة إلى ذلك، وبعض الغلاة في الدين يعملون على إفساد مفاهيمه والانحراف عنها، ومن ثم، كان الغلو في الدين خروجاً عن حدود الله. ثم اتبع ذلك حديث هادف عن التفريط والغلو في العقائد وعن التهاون في الواجبات والتفريط فيها. وقد وقف الإمام أمام الحدود وقفة بصيرة، حيث قسمها إلى مستويين، أحدهما: يكون بعدم الاقتراب منها وذلك بالحرز والورع، وثانيهما: يكون بعدم تجاوزها، إذ أن من دخل الحد، يحكم عليه بالتجاوز حتماً.

يقول الله عز وجل:

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ﴾ (١)

أما ما ذكره الإمام من مظاهر التفريط في الأحكام الشرعية عن طريق التلاعب بالنصوص أو متابعة للأهواء وعن طريق تتبع الآراء الاجتهادية الضعيفة التي لا سند لها، والأخذ برخص المذاهب لمجرد التخفيف من تبعات التكليف، فذلك اتضح للقارئ المنصف دون أن يداخله أدنى ريب. وأقول للقارئ المنصف - لأن من القراء من ضرب الله على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فحاد عن

(١) من الآية ١ من سورة الطلاق.

## الدعوة إلى الله

الصراط القويم. ومحاولة تلخيص هذا البحث الجاد في هذه السطور القليلة لا تجد غير التنبيه إلى أصله المسجل في صفحات الكتاب وفي ذلك كفاء.

بقي القسم الثالث "وهو أحاديث السلوك الإنساني في ظل الإسلام" وقد جاء على سعته الشاملة مبسطاً سهلاً هيناً، لأن دروس الأخلاق الإسلامية تتطلب مراعاة عقول الناشئة من المراهقين والفتيات، حتى يهضموا سنن الإسلام في التوجيه الخلقي. ونحن نعهد نفرأ من دارسي الأخلاق في هذا العصر يملئون الصفحات بآراء أفلاطون وأرسطو ونفر من فلاسفة الإسلام في قضايا الخير والشر والجبر والاختيار، فيغوص القارئ في نظريات جدلية فلسفية، إن أمتعت عقله فقد نزت عن استجابة وجدانه. كما نرى نفرأ آخر يرهقون القارئ بدسامة ما يغوص عليه في هذا البحر الهائج. وكتاب الإحياء للغزالي على جلاله قدره، وخصوبة ثمره كتاب الخاصة وحدهم، لذلك جاء حديث الإمام الأكبر عن الحلم والحياء والنصح والتواضع وحسن الجوار وذل المسألة وعيادة المريض والاحتكار وآداب البيع والشراء والصدق والكذب والوفاء والاستئذان والتفاؤل والتشاؤم والرحمة والإيثار وإفشاء السلام مما يصلح أن يكون مقرراً دراسياً لطلبة المعاهد الدينية، لأننا في عهد الطلب الغابر لم نجد دروساً للأخلاق الإسلامية تستقل بمنهج خاص، بل كانت تلوح على أبعاد في دروس التفسير والحديث. ولو اهتم بها المنهج الدراسي اهتمامه بدروس الفقه والنحو والصرف لساعدت على بناء شخصية إسلامية ذات صلابة وإيمان. فهل يستجيب المسؤولون عن المناهج في المدارس والمعاهد جميعاً بالجمهورية المصرية وسائر البلاد الإسلامية إلى اقتراح يجعل دروس الأخلاق ذات منهج مستقل لينشأ الطالب على السنن الحميدة وتقيه عثرات البيئة الجامحة ذات الإعلام المنحرف، في أكثر ما يقرأ ويرى ويسمع! هذا ما أرتجيه.



## الدعوة إلى الله

وإيماءً لنموذج مما تحدث عنه الإمام الأكبر في هذا المجال، استشهد بما كتبه تحت عنوان "فلنجرب هذا الدواء" إذ اتخذ مناره الهادي من قوله عز وجل:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ ﴾<sup>(١)</sup>

فقال بصدد هذا النص الكريم:

﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ۝ ﴾، وَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ۝ ﴾، أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ۝ ﴾<sup>(٢)</sup>

"ونحن المسلمون نواجه في هذا العصر فتناً كقطع الليل المظلم تواكبت معها المحن، حتى تفرقت بنا السبل، ولم نعد نفرق بين النفع والضرر انبهاراً بالمادة حتى انصرفنا هممتنا إلى تحصيل ما لا بقاء له، وغاب عنا أن في طهارة النفس ونقاء الروح وتقوى الله الوقود الذي لا يفنى، وصولاً إلى السعادة في هذه الحياة، ويوم نلقى الله إيماناً بوعده الله الذي لا يتخلف في قوله تعالى:

(١) الآية ٥٣ من سورة الأنفال.

(٢) الآيات ٩٧، ٩٩ من سورة الأعراف.

إلى أن قال:

«وإن هذا الدواء من عنصريين - الإيمان والتقوى.

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١)

فالإيمان استمساك بعقيدة الإسلام، بكافة عناصرها وأصولها وفروعها، والتقوى التزام في الأداء بحدود آداب الإسلام، وبما في هذا من تحمل المسؤولية التي أجملها الله في قوله:

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٢)

وبعد، فهذه مقدمة لكتاب حافل لا تغني القارئ عن استيعابه ولكنها تبعث فيه الرغبة إلى قراءته المتأنية في يقظة واعية، وتفهم رشيد.

د. محمد رجب البيومي

(١) الآية ٩٦ من سورة الأعراف.

(٢) الآية ٦ من سورة التحريم.



## الاقتصاد الإسلامي وأُسسُه في القرآن والسنة

نحمد الله الذي شرع للناس ما فيه صلاحهم ونصلي ونسلم على محمد رسول الله - ﷺ - الذي أرسله ربه إلى بني الإنسان كافة بشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً؛ فبين لهم عن ربهم ما يهديهم إلى طرق معاشهم واستثمار كل ما خلق الله لإسعادهم، كما قال سبحانه:

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ

سَبْعَ سَمَوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ (١) ﴾

وقال:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ

لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ (٢) ﴾

فكان على الناس أن يستثمروا وأن ينتفعوا بذلك كله وأن يعمروا هذه الأرض، بل يعمروا الحياة عليها، كما أشار القرآن في قوله تعالى:

﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَنْقُومِ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۚ هُوَ

أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ

مُجِيبٌ ۝ (٣) ﴾

(١) الآية ٢٩ من سورة البقرة.

(٢) الآية ١٢ من سورة الجاثية.

(٣) الآية ٦١ من سورة هود.

أي طالبكم بعمارته بالإنتاج والتنمية من زراعة وتجارة وصناعة واستخراج ما حوته الأرض في باطنها وما احتوته البحار.

وإذا كانت دراسة الاقتصاد في عصرنا، كعلم ينظم الثروة من حيث الإنتاج والاستبدال والتوزيع والاستهلاك والصيانة، على وجه يسد حاجة الأفراد والجماعات، فإن هذه الأهداف قد تغيها القرآن، حيث نجد الدعوة إليها، بل والأمر بها في كثير من الآيات.

من ذلك قول الله سبحانه وتعالى:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (١)

وقوله تعالى:

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٢)

وهذه هي السنة الشريفة زاخرة بالدعوة إلى العمل والإنتاج

وفي مثل هذا قول رسول الله - ﷺ - «ما أكل أحد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود - عليه السلام - كان يأكل من عمل يده» (٣) وقوله:

(١) الآية ١٥ من سورة الملك.

(٢) الآية ١٠ من سورة الجمعة.

(٣) رواه البخاري.

## الاقتصاد الإسلامي وأساسه في القرآن والسنة

«ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»<sup>(١)</sup>

ولقد تحدث القرآن عن البيع وعن التجارة كوسيلتين لتبادل الإنتاج والمنافع، نرى هذا واضحاً في قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۚ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۚ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝﴾<sup>(٢)</sup>

وقوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝﴾<sup>(٣)</sup>

ونبه القرآن إلى مواجهة الأزمات والكوارث بادخار الفائض في الميسرة ووفرة الإنتاج، جاء ذلك جلياً فيما حكاه الله عن صنيع سيدنا يوسف - عليه السلام - حين نصح عزيز مصر بالادخار من سنوات اليسر إلى سنوات الجذب والقحط، على ما يشير إليه قوله تعالى:

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) الآية ٢٧٥ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٢٩ من سورة النساء.

﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴾ (١)

وحارب القرآن كذلك الإسراف والإتلاف ودعا إلى الوسط فقال:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (٢)

وقال:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (٣)

ولأن المال واستثماره أمر تقوم به الحياة، نبه القرآن إلى صيانة الثروة وحفظها من الضياع والفساد وحذر من حبسها ووقفها عن النمو، مطالباً بالألاعنى الأموال إلى الصبيان والسفهاء الذين لا يحسنون التصرف، لنقرأ قول الله تعالى:

﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ (٤)

(١) الآية ٤٧ من سورة يوسف.

(٢) الآية ٢٩ من سورة الإسراء.

(٣) الآية ٦٧ من سورة الفرقان.

(٤) الآية ٥ من سورة النساء.

## الاقتصاد الإسلامي وأساسه في القرآن والسنة

كما نهى القرآن عن أكل أموال اليتامى واستغلالهم ظلماً وعدواناً، وتوعد على هذا العمل وحذر من الإقدام عليه، فقال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۖ ﴾ (١)

ورغب الرسول - ﷺ - في الاتجار في أموال اليتامى وتتميتها حفظاً لها من النقصان وصيانةً لها من الضياع، فقال: اتجروا في أموال اليتامى، لا تأكلها الزكاة (٢)

وقد حكي القرآن عن سيدنا داود - عليه السلام - فقال تعالى:

﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ۚ ﴾ (٣)

حيث علمه الله سبحانه صنعة الدروع من الحديد لاستعمالها في الحروب فتقيهم بأسها.

ولقد دعا الإسلام إلى الاقتصاد والتوسط في الأمور كلها، وأشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ۖ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ۖ بإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۖ ﴾ (٤)

(١) الآية ١٠ من سورة النساء.

(٢) رواه الطبراني - السراج المنير ج ١ ص: ٣٢.

(٣) الآية ٨٠ من سورة الأنبياء.

(٤) الآية ٢٢ من سورة فاطر.



وقال تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوَزِينَ وَالْإِحْسَانَ وَمَا نُزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ  
وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ (١)

كما أرشدت السنة النبوية إلى التوسط في الإنفاق في كل شؤون الحياة بحيث يكون سمة لسلوك الفرد من ذلك قوله - ﷺ -: « ما عال من اقتصد » (٢)

ولأن الاقتصاد ضرورة من ضرورات الحياة وطبيعة المجتمعات، فقد اهتم الإسلام بدوره وتمسك بوسائله، بل إنه حينما نزل القرآن في مكة كانت لقريش تجارة في أسواق العرب: عكاظ ومجنة وذو المجاز، وكان المسلمون يباشرون نشاطهم التجاري في هذه الأسواق، ولما تخرجوا من ذلك نزل قوله تعالى:

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ  
فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَانَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ  
قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴾ (٣)

وهذا هو القرآن يحكي لنا في سورة «قريش» أسلوب التبادل التجاري بين اليمن والشام وكيف كانوا يتبادلون الصادرات والواردات، وهي رحلة قريش إلى اليمن شتاءً وإلى الشام صيفاً يبيعون فيها صادرات الحجاز، ويستوردون منها ما ينتفع به أهل الحجاز ويكسبون ويربحون.

(١) الآية ٦٦ من سورة المائدة.

(٢) رواه أحمد في مسنده، السراج المنير ج ٢ ص: ٢٧٣.

(٣) الآية ١٩٨ من سورة البقرة.

## الاقتصاد الإسلامي وأساسه في القرآن والسنة

ومع هذا، فإن الإسلام يغرس في نفوس المسلمين صفات الصدق والأمانة والنصيحة ومكارم الأخلاق التي تحكم معاملة المسلم وتمنعه من الدخول في مضايق الحيل أو التغالي في تقدير الأثمان والأجور أو بخسها. ومن هنا، كانت الكلمة المشهورة «الدين المعاملة» ربطاً للتعامل بالإسلام.

وقواعد السياسة الاقتصادية في الإسلام ليست ثابتة، بل تتغير بما يعالج كل حالة ويصلح لكل مجتمع. فنظام العشور «أي الجمارك» قد قننه فقهاء المسلمين مقدراً بالعشر. ومع ذلك، تجيز هذه القواعد المعاملة بالمثل، بل وتجيز الإعفاء منها، كما إذا كانت الدولة بحاجة إلى الوارد أو الإكثار منه، كالأطعمة والأدوية، وغير هذا مما قد تدعو الضرورة للتجاوز عنه.

ولقد تحدث علماء المسلمين في قواعد الاقتصاد؛ فهذا ابن خلدون يرى ألا تتجر الدولة، لأن اتجار رجال الحكم يؤدي إلى التغالي في الأسعار، كما واجهوا بالحل أهم المشكلات الاقتصادية لتوزيع المنتجات ومواجهة حاجات الأفراد بتقديم الضرورات ثم الحاجيات ثم الكماليات على أن يأخذ الفرد من المعروض بقدر حاجته عند قلة الموجود، ولا تكون القوة الشرائية سبباً إلى أن يستأثر الغني بما تتسع له قدراته ثم لا يجد غيره ما يفي حاجته، ولا بأس بالاستزادة إذا كان في المعروض سعة. فإذا لم يكن وجب أن يتساوى الناس في أن يأخذ كل بقدر ضرورته أو حاجته أو في التخلي عن بعض الحاجات إذا نقص الموجود منها أو قل الإنتاج.

روى مسلم أن رسول الله - ﷺ - قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه....»<sup>(١)</sup>

(١) رواه البخاري ومسلم.

ومن اشترى ما زاد على حاجته وغيره محتاج، فقد أسلمه للجوع والعري أو للمرض والحرمان.

ولقد فهم ابن حزم من هذا الحديث<sup>(١)</sup> أنه يفرض على الأغنياء في كل بلد أن يقوموا بحاجة فقرائهم العاجزين عن العمل أو الذين لا يجدون عملاً، ويجبرهم السلطان على ذلك، إن لم تقم الزكوات بهم، ولم يكن في بيت مال المسلمين فضل يكفيهم واستدل بما روي عن النبي - ﷺ - أنه قال: «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس، أو كما قال»<sup>(٢)</sup>، أما إذا ضعف التدين، وجعل الناس القدرة الشرائية هي الحكم في التوزيع، وجب على ولي الأمر أن يحقق العدل بين الناس بالأساليب التي يراها مواجهة لما عليه الناس من أنانية لا ترعى حقوق الآخرين.

ومن ثم، ورد في الأثر: (إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) والحرية الاقتصادية، وإن كانت هي الأصل في الإسلام. لكن إذا تعسف الناس في استعمال حقوقهم، وجب على ولي الأمر أن يتدخل لردهم إلى حكم الله، وأوامره ونواهيته. هذا: ومن المقرر في الإسلام تحريم ركود المال واختزانه، وأصل هذا قول الله تعالى في سورة التوبة:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>

(١) المحلى لابن حزم ج ٢ ص: ١٥٧ المسألة: ٧٢٥.

(٢) رواه البخاري ومسلم، زاد المسلم ج ٢ ص: ٢٤٤.

(٣) الآية ٣٤ من سورة التوبة.

## الاقتصاد الإسلامي وأأسه في القرآن والسنة

وغير هذا من نصوص القرآن والسنة التي تدعو إلى مداومة استثمار المال وتنشيطه سعياً إلى التقليل من أثقال العوز والحاجة بين المسلمين، وحتى لا تتجمد الثروات في يد طائفة محدودة تتحكم بها في المجتمع، كما أرشد القرآن في قوله تعالى:

﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝١١﴾<sup>(١)</sup>

كما قرر الإسلام أن كل ما به قوام الجماعة الإسلامية، فتوفيره من فروض الكفاية؛ بحيث إذا تركه الجميع أثموا. ومن أجل هذا، كان على المسلمين أن يعملوا ويدعموا اقتصادهم بالمزيد من الصناعة والزراعة والعلوم المستحدثة لتنظيم اقتصاد إسلامي متكامل متكافل تنمو به موارد الأمة الإسلامية.

**وبعد:**

فإن على علماء الاقتصاد والمالية المسلمين أن يؤصلوا اقتصاداً إسلامياً ييسر للناس معاملاتهم، ويفتح لهم طرق الاستثمار المشروع لأموالهم. فإن الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعرفهن كثير من الناس.

(١) الآية ٧ من سورة الحشر.

## الدعوة إلى الله

هدانا الله تعالى إلى قول الحق في دين الإسلام، وجنبنا الخطأ والآثام،  
وعصمنا من القول بغير علم ونقول كما علمنا في كتابه:

﴿ فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۚ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۚ  
وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۖ ﴾ (١)

(١) الآية ١١٤ من سورة طه.

## هموم المسلم المعاصر وملامح هذه الهموم من منظور إسلامي

أينما نظر المسلم بصرًا وبصيرةً في أرجاء العالم الإسلامي على اتساع رقعة أوطانه، وتباين سكانه المسلمين في اللون واللغة والعادات والأعراف، يستبين له أنه بالرغم من هذا التباير نجدهم حريصين على أسس الإسلام الخمسة - في الجملة - يسارعون إلى أدائها، كما يسرعون بها، وافتقدوا في عبادتهم هذه الأناة والاطمئنان، فابتعد عنهم الإخلاص لله في العبادة، وتكاثرت في سمائهم سحب الهموم والحيرة، سواء في واقعهم الاجتماعي، أو الواقع الاقتصادي، ومن قبل ذلك ومعه ومن بعده الواقع السياسي.

ذلك أن الواقع السياسي للعالم الإسلامي منذ أن تحررت البلاد من الاستعمار العسكري الأجنبي - وظنوا وهماً أو هماً - أنهم قد صاروا شيئاً مذكوراً - وخاصة الشعوب العربية - التي ظنت أنها تشكل ثقلًا دوليًا. بالغ البعض المتفائل منهم وأوحي إليهم من شياطين الإنس أنهم القوة السادسة الدولية بعد العمالقة في هذا العصر الولايات المتحدة، وروسيا، والصين، واليابان، وأوروبا.

ولم يفتن هؤلاء المتفائلون إلى أن الاستعمار العسكري لم يرحل إلا بعد أن زرع في أرض المسلمين من صاروا أشد على الشعوب الإسلامية ظلمًا وفتكًا، حيث كانت سياسة البديل الاستعماري - وهم من جلدة المسلمين - إشاعة التقاليد والثقافة الوافدة مع المستعمر، وبث التغريب، بكل مخازيه، قصدًا إلى الانحراف بالمسلمين عن عقيدة الإسلام وشريعته، والابتعاد بهم عن مثل الإسلام وقيمه وتقاليده، ونجح هذا العمل الجديد في أن يزرع الخلافات حول الزعامة، ومن يكون



## الدعوة إلى الله

الزعيم؟ وروجوا بينهم صناعة وتجارة الشعارات والانقلابات حتى تتشاغل هذه الشعوب الجائعة، الساذجة المنبهرة، التي تبحث عن المثل الذي تحقق به وجودها، وتجعل أمرها بيدها، ثم لتستبدل بعقيدتها تلك الشعارات الفارغة من المضمون، ونجحت هذه السياسة ووقعت الواقعة، وصار بأس المسلمين بينهم في ديارهم، وقلوبهم شتى، فانتقصت الأرض من تحت أرجلهم، وانتلم العرض وانشق الصف ولم تعد الوحدة إلا في صف الصلاة وفيها تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى.

ومن هنا تعمقت الخلافات، ووجهت المساعدات فتساقط البعض في فتنة المال، والبعض في فتنة السلاح، الذي أغرى حملته إلى استعماله - سلاح إرهاب - في إثارة الفتنة وإشاعة الخوف والاضطراب في صفوف الشعوب الإسلامية، وراحوا مع هذا يبتشون بذور الفتن، والشك في الثقافة ليشغل الناس بما فتنوا به عن النشاط المثمر، وتعمقت الخلافات الفرعية والمذهبية، وكانت الجماعات والجمعيات المتخالفة والمتخاذلة.

ولم يكن الواقع الاجتماعي للمسلمين بأوفر حظاً من الواقع السياسي، بل سرت إليه هذه الأدواء، حتى انخلع الفرد المسلم من مثل الإسلام وقيمه، فانفرط عقد الأسرة، وانفلت الزمام من يد القيم عليها، ولم يعد ذلك التواصل والتراحم والتعاون، الذي غرسه الإسلام، نصوصاً أمرة في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. واستبدلت به أنانية بغيضة وأنظمة غريبة غريبة، وسادت مظاهر التظالم بدلاً من التناصر، والتقاطع والتدابير بدلاً من التعاون على البر والتقوى والإخلاص، وشاعت الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

وكانت الثالثة: الواقع الاقتصادي، حيث غلب النظام الاشتراكي في أغلب دول العالم الإسلامي مع أن للمسلمين في الغناء والكفاء بالقواعد الاقتصادية،

والضوابط، والمعايير التي تحيي الآمال، وتفتح المجال إلى العمل المثمر، والكسب الحلال في الزراعة والصناعة، والتجارة.

هموم ثقال تراكمت آثارها، وتزاحمت على مجتمعات المسلمين حتى أشاعت الوهن في الأجساد والعزائم وليس لانكشاف هذه الهموم، وإزاحة تلك الغيوم التي أظلت سماء المسلمين وأظلمت إلا أن يعود المسلمون إلى التماس الهدى والهداية من مصدري الإسلام كتاب الله وسنة الرسول محمد ﷺ فالنظام الأمثل في الاقتصاد: هو ما شرعه الإسلام وسطاً بين النظامين المتنافسين في العالم المعاصر: الرأسمالية، والاشتراكية.

ولو أن المسلمين استثمروا مواردهم الزراعية، والصناعية، واليد العاملة المتوفرة، مع توفر رؤوس الأموال لدى الشعوب المسلمة التي تفجرت بها أرضها، وانفجرت عن مخبوء رزق الله، لو أن ذلك كان لكانت الأمة الإسلامية أحسن حالاً وأيسر مآلاً، ولكنها بعدت عن سنة الله وشرعه، فكان هذا الضيق والغلاء والبلاء والبطالة، ولو أن المسلمين صدقوا الله فاستقاموا على الطريق، وأخذوا بالأسباب لرزقهم الله كما يرزق الطير: تغدو باحثة عن رزقها، وتروح وقد امتلأت من شبعها، ولو أنهم أقاموا أسس الإسلام، والتزموا بأخلاقه، لانزاحت عنهم تلك الهموم.

فهيا نستعيد شخصية المسلم والمسلمة الملتزمين بالإسلام عقيدةً وشريعةً، المتعاونين على البر والتقوى الساعين إلى طلب الرزق الحلال، المتباعدين عن الحرام بكل صوره.





## حقوق الإنسان والمنظور الإسلامي

يتردد في تعبيرات رجال الفقه القانوني أن حقوق الإنسان والحريات العامة لا تدخل ضمن الحقوق بالمعنى المصطلح عليه لدى رجال القانون، إذ تفتقد العناصر الجوهرية للحق، وتختلف في طبيعتها عنه.

ذلك أن الحق بمعناه في الفقه القانوني كل حق يقابله واجب، وهذا المعنى غير متوفر في حقوق الإنسان، ولا في الحريات العامة.

فقد درج علماء القانون الوضعي في تعريفاتهم التي وضعوها للحق على تحديد عناصر لا تتحقق في طائفة من حقوق الإنسان، فقد عرف بعضهم الحق (بأنه تلك الرابطة القانونية التي بمقتضاها يخول القانون شخصاً ما التسلط على شيء أو اقتضاء أداء معين من شخص آخر) وفي تعريف آخر: (إن الحق قدرة، أو سلطة إدارية يخولها القانون شخصاً معيناً ويرسم حدودها)، وفي رأي ثالث بأن الحق (مصلحة يحميها القانون).

وناقش فقهاء القانون هذه التعاريف، وتحدثوا في أمر (الحقوق الشخصية) - حقوق واردة على مقومات الشخصية - وعناصرها في علاقات الأفراد بعضهم ببعض، وأن الهدف منها حماية الشخص من اعتداء الأشخاص الآخرين، وأن بعض الحقوق الشخصية مثل حرية الاعتقاد، وحرية الاجتماع، وحرية التعاقد، تفتقد مقومات الحقوق بالمعنى الدقيق، لأنها تثبت للناس كافة، دون اختصاص بعضهم بها على سبيل الاستثمار، ومن هنا يكون تسميتها حقوقاً من باب التجاوز في التعبير.

وحقوق الإنسان اصطلاح يتقارب مع اصطلاح الحقوق الشخصية، حيث يشتركان في معنى حماية الشخصية الإنسانية في مقوماتها وعناصرها الأساسية، بمعنى أن اصطلاح حقوق الإنسان يقصد به أساساً الإشارة إلى ما ينبغي الاعتراف به للأفراد من حقوق تقتضيها طبيعة الإنسان كحد أدنى، وتفرضها فرضاً لازماً ضماناً لحرية الأفراد من تحكم الدول المستبدة.

وبهذا يتضح بجلاء أن إضفاء صفة الحقوق في اصطلاح حقوق الإنسان من باب التجاوز، فإن هذا التوسع في التعبير منطوق أو مدلول الدراسات القانونية. فأي منطوق الدراسات الإسلامية في حقوق الإنسان؟ يمكن أن تستقرأ تلك الحقوق من أوامر الدين الإسلامي ونواحيه وتوجيهاته، إذ الملحوظ منها أنها تتضمن التزامات أو واجبات على طرف، يكون في ضمنها مصالح وحقوق لطرف آخر.

فالأمر بأداء الأمانات إلى أهلها أوجب حقاً لأصحاب الأمانات أن تؤدي إليهم أماناتهم، والنهي عن بخص الناس أشياءهم يتضمن تقريراً لحق الآخرين أن تحفظ عليهم أشياءهم، والنهي عن قتل الإنسان بغير نفس أو فساد في الأرض يتضمن بدلالاته حقاً لكل نفس أن يحافظ عليها وألا يسفك دمها في غير قصاص، والأمر بالإحسان إلى كل من الوالدين وذوي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار بالجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل، يؤكد أن لكل من هذه الأصناف حقوقاً يحض الدين على الوفاء بها، وينهى عن التفريط فيها.

والتوجيه إلى أن الدين النصيحة تقرير إلى وجود حقوق لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، يلزم المسلم القيام بها، وتقدير مسؤولية كل راع عن رعيته تشير إلى أن العلاقة بين الحاكم والمحكومين تجعل على الحاكم واجباً أن يعدل،

## حقوق الإنسان والمنظور الإسلامي

وأن يسوس أمور المحكومين سياسة شرعية، وتوجب حقاً للحاكم على المحكومين أن يطيعوه ما أطاع الله ورسوله، وحقاً على الرعية أن ترعى مصالحها. وفي مبدأ عدم الإكراه في الدين، تقرير حق كل فرد في عقيدته، وواجب الدولة والمجتمع في عدم التدخل في تلك الحرية إلا فيما يساء استعمالها، أو يخاف منها على سلامة المجتمع الإسلامي وأمنه وقوة بنيانه.

وأول من نبه من علماء المسلمين على قيام العلاقات بين الناس على أساس رابطة من الحقوق والواجبات الإمام الغزالي في كتابه «إحياء علوم الدين». وتشير كتابات الغزالي وغيره إلى أن معنى الحق هنا: (المصلحة أو الرخصة أو الضمان الذي ينبغي أن يوفر لصاحبه، أو يحق له أن يطالب به وأن يدافع عنه). ويظهر مما ضربنا من أمثال أن فكرة تكريم الإنسان

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوُجُوهِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (١)

وهي القاعدة التي أقيمت عليها حقوق الإنسان في هذا العصر - هذه الفكرة - أساسية في الشريعة الإسلامية ودراستها، وأن المصالح والمنافع والرخص والمباحات التي تضمنتها نصوص الشريعة لصالح الفرد والمجتمع ووجهت إلى رعايتها وحمايتها، يسوغ أن تسمى بتغييرات العصر - حقوقاً للإنسان - في لغة العرب.

وفي المصطلحات الشرعية استعمالات ودلالات يستقيم معها إطلاق اسم الحقوق على مختلف أنواع المصالح والمنافع، التي وجه إليها الدين في عقيدته

(١) الآية ٧٠ من سورة الإسراء.

## الدعوة إلى الله

وشريعته لصالح الإنسان، سواء أكان فرداً أم جماعةً، لاسيما في ميادين الحرية  
والمساواة والعدل والشورى والأمن والتعاون على البر والتقوى. يكفي عنواناً  
لحقوق الإنسان في الدراسات الإسلامية قول الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ  
وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (١)

(١) الآية ٧٠ من سورة الإسراء.

## تعالوا إلى كلمة سواء

### الجدل حول تطبيق الشريعة

أثار موضوع تطبيق الشريعة الإسلامية حواراً ارتفع صوته، وعلا صراخه، حتى جاز أن نسميه جدلاً، خرج عن الجادة، وانحرف عن الهدف، فصار قضية ساخنة مثيرة، تتصارع حولها الأقلام، وتجري بها أنهار الصحف، وبرز في هذه الجولة حول الشريعة - ولا أقول عليها - من اخترعوا ألقاباً ومسميات دخلوا بها على الناس حتى يصيخوا السمع لما يقولون أو ليقرعوا ما يكتبون، فهذا كاتب إسلامي، وذلك مفكر إسلامي، مسوغات ورخص اخترعوها لأنفسهم، حتى يبيعوا ما يخرعون من فكر وأوهام باسم الإسلام، إحياء للجدل حول العلمانية والإسلام، وهل الإسلام دين ودولة أو أنه دين فرض العبادة لله ولا شأن له بحياة عباد الله على هذه الأرض، وخلط وبُعد عن استيعاب أصول الإسلام وفروعه ومقاصده، ودوامات من الفكر يتوه فيها الحكماء والعلماء، فما بالنا بهذا الجيل الذي انتبه بعد رقاد إلى العودة إلى الذات، ذات المسلمين وسماتهم وليس إلا الإسلام سمة لهم، الإسلام في عدله، الإسلام في حرصه على العلم والتعليم، الإسلام في حرصه على الترابط والتكافل الاجتماعي، الإسلام في تربيته للفرد والجماعة وللأمة، الإسلام في حرصه على السلام الاجتماعي والألفة بين طوائف الشعوب والأمة، فلا تفرقة بسبب اللون أو الفقر أو الغنى، ولا اضطهاد بسبب الدين والإسلام الذي حرم الغش في العقود وحمى من لا يحسن التعاقد، الإسلام الذي حث على عمارة الأرض وإشاعة الحياة والأمن والأمان، والإسلام الذي جاء بفروض محددة لا تقبل الاجتهاد في صلة الإنسان المسلم بالله، كما بين الحلال والحرام في التعامل في الحياة الاجتماعية بين بني الإنسان:



﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾ (١)

لأنه أقل بكثير مما أحل، وقال:

﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (٢)

الإسلام السماحة والتسامح، الإسلام نظافة المظهر والمخبر  
هذا الجدال لجاجة وغلظة:

هل الإسلام - وهو كما جاء في القرآن الكريم وفي سنة رسول الله - ﷺ -  
نختلف كل هذا الاختلاف حوله ونتجادل، لا بقصد الفهم، وإنما في لجاجة وغلظة،  
ونمطر الإسلام وشريعته وأبلاً من السخط، وكثيراً من النقد، دون أن نستوعب  
هذه الشريعة، بل حتى دون أن نفقه ما قرأنا.

(١) الآية ١١٩ من سورة الأنعام.

(٢) الآية ٢٤ من سورة النساء.

تعالوا إلى كلمة سواء

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونِ السُّيُوفَ يَلْحَسِبُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

صرف القضية إلى تحريف متعمد للقيم الإسلامية

هذا الجدل الصارخ الذي انعزل عن الطريق الحق عندما نحا بالقضية - قضية تطبيق الشريعة الإسلامية - إلى سيل من الصد عن سبيل الله، وعن الاستقامة إلى تحريف متعمد للمفاهيم والقيم الإسلامية، حتى لقد بلغ ببعض الكتاب أو المتحاورين التجاوز بأن قال إن حدود الإسلام وأحكامه شرعت لتعقيد الإسلام، وقد تجاوزته الحياة الحاضرة بمعضلاتها وحضارتها»

ولقد اشتجر الكاتبون فيما إذا كان تطبيق الشريعة قوراً وبالمسيرات والمظاهرات، أو أنه ينبغي أن يتم في تراث وعلى مهل ودون عنف. وما كان الإسلام المظاهرات والمسيرات، وما كان تطبيق شريعة الإسلام بالشعارات التي تلصق على المركبات، أو ما كانت أحكام الإسلام موقوتةً بعصر النبوة والخلفاء الراشدين - رضوان الله عليهم - وإنما هو الإسلام عقيدة وشريعة، ودين ودنيا لكل العصور، ما بقي المسلمون قانتين لله، حافظين لحرمة الله، يثلون كتابه ويعملون به.

حين بدأ مجلس الشعب في دور سابق بحث «تنقية» القوانين القائمة لرفع ما يكون منها مخالفاً للشريعة، وحين صرف أعضاؤه والمتعاونون معهم من العلماء - علماء الشريعة والقانون - الوقت والجهد، وأنفقت الأموال في هذا الصدد، لم يكن

(١) الآية ٧٨ من سورة آل عمران.

ذلك مُظَاهِرَةً أَوْ مَسِيرَةً وَإِنَّمَا كَانَ عَمَلًا جَادًّا، انْتَهَى إِلَى تَنَاجٍ طَيِّبٍ، ارْتَضَاهُ الْمُخْلِصُونَ لِهَذَا الشَّعْبِ الْحَرِيصُونَ عَلَى اسْتِقْلَالِهِ وَذَاتِهِ وَعَلَى مُسْتَقْبَلِهِ كِرَائِدٌ وَقَائِدٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ، فَإِذَا تَأَخَّرَ الْإِجْرَاءُ الدِّسْتُورِيُّ أَوْ تَبَاطَأَ، فَإِنْ ذَلِكَ عَلَى أَيِّ حَالٍ مَسْئُولِيَّةٌ مَجْلِسِ الشَّعْبِ حِينَ يَعُودُ إِلَيْهِ عَاجِلًا أَوْ أَجَلًا، وَلَا تَكُونُ الْمَسْأَلَةُ بِهَذِهِ الطَّرِيقِ الْمَعْيِبَةِ الَّتِي قَدْ تُوْدِي بِسَمْعَةِ الْبِلَادِ وَاسْتِقْرَارِهَا وَأَمْنِهَا، وَلَا يَكُونُ الرَّدُّ عَلَى الْمَطَالِبَةِ الْفُورِيَّةِ لِتَطْبِيقِ الشَّرِيعَةِ بِهَذِهِ الْمَقَالَاتِ وَذَلِكَ الْجَدَلُ الْأَشْبَهُ بِالصَّرَاحِ، وَنَعْتَ الشَّرِيعَةِ بِعَدَمِ الصَّلَاحِيَّةِ لِلتَّطْبِيقِ، وَفَقَهُ فَقَهَايَهَا بِأَنَّهُ صَارَ رِثًا بَالِيًّا، لَا حَيَاةَ فِيهِ وَلَا يَصْلُحُ لِهَذَا الزَّمَانِ وَلِحُكْمِ هَذِهِ الْحَضَارَةِ.

إِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عُلَتْ أَصْوَاتُهُمْ، وَارْتَفَعَ صَرِيرُ أَقْلَامِهِمْ قَدْ أَسَاؤُوا إِلَى مَا يَطْلُبُونَهُ حِينَ يَمْسُونَ مَشَاعِرَ فِي أَقْدَسِ مَا يَهْمُهُمْ، وَأَهَاجُوا كَوَامِنَ نَفُوسِهِمْ، حِينَ يَطْلُقُ هَؤُلَاءِ الْقَوْلَ عَلَى عَوَاهِنِهِ: لَا يَرْعُونَ فِي اللَّهِ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً، وَلَا لِلْوَطَنِ وَلِلْمَوَاطِنِينَ حَرَمَةً وَلَا كِرَامَةً.

### جراحات السنان لها التئام ولا يلتأم ما جرح اللسان

نَعَمْ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ: اجْعَلُوا حَدِيثَكُمْ إِلَى هَذَا الشَّعْبِ، وَمَنْ وَرَاءَهُ الْأُمَّةُ الْعَرَبِيَّةُ وَالْإِسْلَامِيَّةُ فِي حَتْمِيَّةِ التَّطْبِيقِ لِلشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فُورًا، أَوْ أَنَّ الْأَمْرَ يَحْتَاجُ إِلَى تَرْيِثٍ، وَضَحُوا فِي أَقْوَالِكُمُ التَّبْرِيرَ لِمَا تَقُولُونَ دُونَ أَنْ تَطْعَنُوا الشَّرِيعَةَ ذَاتَهَا، أَوْ تَسِيئُوا إِلَى السَّلَفِ الصَّالِحِ، الَّذِينَ بَذَلُوا فِي سَبِيلِ التَّأْصِيلِ وَالتَّفْرِيعِ جَهْدًا يَذْكُرُ وَيَشْكُرُ وَيَحْتَدِي، وَقَدْ تَكُونُ تِلْكَ الطَّعُونَ الَّتِي سَالَتْ بِهَا أَنْهَرُ الصُّحُفِ وَالْمَجَالَتِ، مِنْذُ ثَارَتْ هَذِهِ الْقَضِيَّةُ، عَنْ سُوءِ قَصْدٍ، كَمَا قَدْ تَكُونُ عَنْ قُصُورٍ فِي الْفَهْمِ وَالتَّحْصِيلِ، وَكَلَا الْأَمْرَيْنِ مَعِيبٌ، وَقَدْ قِيلَ قَدِيمًا: النَّاسُ أَعْدَاءُ لِمَا جَهِلُوا.

## تعالوا إلى كلمة سواء

قولوا للناس: لا نريد الربا، ولكن نريد قبل أن نقرر إلغاء التعامل بالربا تحديده في المعاملات الجارية، وإيجاد البديل له، حتى لا تضطرب أمورنا الاقتصادية المتشابكة مع غيرنا، وأن نكون جادين في القول الرشيد.

قولوا للناس: إن من تطبيقات الشريعة استقامة السلوك، وأن المسؤول عن هذا كل فرد في الأمة قبل الدولة: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته الرجل في بيته راع، وهو مسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية، ومسئولة عن رعيته».

وفي القول المأثور «ألزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم».

فهل قام كل رب أسرة وكل ربة أسرة بذلك؟ أم تريدون سلطة الدولة لتسيير أمور الأسرة في المنزل بين أفرادها، التي جعل الله المودة والرحمة هي الصلة التي تربط بينهم.

قولوا للناس: قاوموا الانحراف والسرقات، وأدوا الأعمال بأمانة وهمة، حتى تتوقف الرشوة والفساد.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي  
عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١)

نعم على الدولة واجب الحكم والردع لمن يجدي معه النصيح والإرشاد، ولا صلاح لهذه الأمة إلا بما صلح به أولها، كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - والأمة جميعاً حكاماً ومحكومين مطالبون بذلك كل في حدود مسؤوليته.

(١) الآية ٤١ من سورة الروم.

تعالوا إلى كلمة سواء، يا وسائل الإعلام، وأخص الصحف والمجلات. هل راعيتم حق الله والوطن والمواطنين، حين تثيرون هذه الحملة الظالمة على الشريعة وتطبيقاتها، وتأخذون سوء التطبيق، أو انحرافه في بعض البلاد مثلاً على عدم صلاحيتها فذهبتم تحرفون الكلم عن مواضعه، بعلم أو بغير علم، وغاب عنكم أن هذا الشعب المتدين - المسلمين والمسيحيين - لا يرضى منكم ولا لكم هذا، بل إنه يسؤه أن تهوي المعاول لهدم قيمه وشريعته، بل ووحدته التي علت في كل الأزمات والملمات.

### يجب إيقاف الحملات على الشريعة

لقد عاش هذا الشعب حيناً من الدهر أكثر من عشرة قرون في ظل الإسلام وشريعته عيشةً راضيةً، مستقرةً، مستتيرةً، كلٌ يعرف حقه، وما عليه من واجبات. فأعيدوا إلى هذا الشعب هدوءه النفسي، وأوقفوا هذه الحملات على الشريعة الإسلامية وتطبيقاتها، ووجهوا النصح في أناة وروية وموضوعية، لمن ترونهم قد انتهجوا طريقاً غير مشروع للمطالبة بالتطبيق الإسلامي، دون أن تملؤوا الصحف بهذه الأنهر من التجني على الإسلام وشريعته، وتوقييتها أو توقف صلاحيتها، فإن التاريخ سيحكم عليكم، والأثر العاجل لما تقولون: إنكم تضللون هذا الجيل الذي لم يدرس ولم يتعلم من الإسلام إلا القليل.

تعالوا إلى كلمة سواء، فقد هلع المثقفون على مستويات عالية من هذه الحملة ضد تطبيق الشريعة، وحضرت إلى شيخ الأزهر وفود من أساتذة الجامعات، ورجال التعليم، ووردت تعليقات، وتعقيبات جزعة مما يكتب، وتناقلته عنا وسائل الإعلام في بلاد العرب والمسلمين، التي نحن منها بمنزلة القلب، واتخذتها بلاد أخرى وقوداً لما تهدف من فتن.



## تعالوا إلى كلمة سواء

أقترح على نقابة الصحفيين أن تبحث التصدي لهذه الظاهرة، ظاهر التعدي على شرع الله، والجرأة على الله ممن يقولون في الإسلام بغير علم، أو عن هوى مضل، فقد نشرت كلمات أقل ما توصف به أنها غير مسؤولة.

إن حرية الكلمة مكفولة بشرط ألا تضر القيم الأساسية للإسلام والمجتمع الإسلامي، وهل من حرية الكلمة أن نسخر من بناتنا وسيداتنا الملتزمات، وأن نغريهن بالخروج عما التزمته بدعوى أن لفظ الحجاب لم يرد في القرآن؟ أو أنهن إنما لجأن إلى هذا الالتزام لفقرهن أو عجزهن عن مسايرة التطور الحضاري؛ وكأن الحضارة ليست إلا في عري النساء وتبذلهن.

أقترح على نقابة الصحفيين: أن تنشر الصحف بحثاً تعالج وتواجه الانحراف عن الإسلام، وتُبصر المسلمين رجالاً ونساءً بحقائق الإسلام، وأباطيل خصومه، تقويماً للسلوك، وتبياناً للشرعية لمن غابت عنهم أحكامها وتصرف همهم لها. إن الصحف والمجلات أصبحت مصدراً مهماً للتثقيف والمعرفة، فافتحوا صحفكم لما يصلح، وزيدوا رقعة الثقافة الإسلامية مرات ومرات في الأسبوع، لا في يوم الجمعة فقط.

صدق الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾<sup>(١)</sup>

﴿ وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾<sup>(٢)</sup>

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>

(١) من الآية ٨٢ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٢٤ من سورة الحج.

(٣) الآية ٣٣ من سورة فصلت.





## الأقليات الإسلامية

وكيف يمكن دعمها؟ وحل مشكلاتها من جانب العالم  
الإسلامي لتؤدي دورها في خدمة الإسلام وخدمة  
المجتمعات التي تعيش فيها؛  
معنى أقليات وواقعها؛  
ماذا تعني عبارة: الأقليات؟

قد تنوعت أقوال الباحثين في تحديد المقصود بالأقليات، ولكنها جميعاً لا  
تعدوا القول: بأن الأقليات تعني مجموعات من الناس - كثرت أو قلت - تعيش وسط  
مجموعة، أو مجموعات أخرى تفوقها عدداً، وتتفاير معها، فكراً، أو ديناً أو  
عنصراً، وهي مع قلتها أو بسببها تعيش وسط الكثرة الأخرى في ظروف من  
الاضطهاد والامتهان في أغلب الأحيان، وتتفاوت هذه الحالة من التعامل من  
مجتمع لآخر.

وواقع الأقليات المسلمة في العالم - أو أكثرها - تعيش في هذه الظروف  
المؤسفة المهينة، تبعاً لما يعانيه العالم الإسلامي من الضعف والفرقة، مع التناحر  
والاقتتال، وتداعي الأمم الأخرى على المسلمين، وكيدها الدائم والدائب ومكرها  
ورغبة في المزيد من تفريق صف المسلمين وتمزقهم.

وها هي صرخات هذه الأقليات المسلمة المسحوقة تتعالى من هنا وهناك،  
تنادي الكثرة الكاثرة من الأمة الإسلامية، لعل وعسى أن تسمع صداها أذان لم  
تشغل بهذه الترهات، التي ألهمت المسلمين عما وقع بهم من بأساء وضراء، حتى  
صاروا أضحوكة بين العالمين.

## الدعوة إلى الله

حتى أولئك النفر من المسلمين، الذين استجابوا لصرخات الأقليات المسلمة، فهبوا للعمل في ميدان المساعدة والإغاثة، وشكلوا هيئات ومؤسسات ولجان، وبذلت كل جهة جهداً في هذا الميدان، كانت نتيجة جهودها محدودة لمعوقات كثيرة، ومن أهمها: افتقار التنسيق فيما بينها، وانعكاس حاضِر العالم الإسلامي من الفرقة والشتات، وافتقار القيادة الموحدة - انعكس هذا على تلك الجهات التي تعمل في ميدان الإغاثة، كما تفتقد مع هذا التنظيم الدقيق، فلم تتخلص من الارتجال والتعددية والآنانية، وافتقدت التخطيط القائم على المعرفة التامة والشاملة بأوضاع الأقليات المسلمة وظروف الأحوال المحيطة بكل منها والتغيرات المتوقعة.

ومن هنا كان - حتماً - أن تُدرس أحوال وواقع تلك الأقليات دراسة تكشف أوضاع كل منها للتعرف على مشكلاتها والتحديات التي تواجهها، وطرق التغلب عليها، وفق أولويات فعالة، وتحديد الزمن المناسب لهذه الأولويات.

مرة أخرى، أقول دراسة الواقع المعاصر، والمتغيرات الطارئة عليه، حتى تتواكب المشاريع التي توجه إلى هذه الأقليات التي تختلف حتماً ظروفها.

وهذه الدراسة متى تمت ينبغي أن توضع بين أيدي العاملين في الميدان من الشخصيات، والجمعيات والهيئات؛ لتنسق فيما بينها وسائل العمل، وصولاً إلى تضافر الجهود، وتوزيع المهام وتصويب التجاوزات والأخطاء، طلباً لتحقيق الغاية والأهداف. ومن الخطأ أن ينظر إلى تلك الأقليات أو يتم التعامل معها من خلال الأفواه الجائعة، والبطون الخاوية فحسب!! وإنما على هذه الهيئات أن توجد في تلك الأقليات علاجاً، وتجاوز ما أبرزته الدراسة من قصور، وتقاعس واسترخاء عن مواجهة ما انتابها من ضعف وتمزق، وقصور عن تنمية نفسها في التعليم والاقتصاد، ووحدّة الصف والهدف، والتعاون على البر والتقوى، وتنمية الوازع

## الأقليات الإسلامية

الديني بين الأفراد والجماعات في تلك الأقليات، حتى يكون حافزاً إلى العمل المثمر المنتج.

ومن هنا، وجب أن تسعى هذه المؤسسة إلى تأسيس نظام ملائم للدعوة الإسلامية من تلك الأقليات وعلى أرضها بعيداً عن الفلسفات المشككة، وعن الخلافات المعطلة، والعمل كذلك على إنشاء المعاهد والمدارس والعمل على تحسين تعليم العلوم الشرعية والعربية، مع العلوم المستحدثة والصناعات المعينة على كسب العيش، وإنشاء المدارس وترميم القائم منها وكذلك المساجد، وتكوين كوادر المعلمين والدعاة، وإنشاء دور الطباعة وهيئات الترجمة ومناهج موحدة، أو متقاربة للتعليم في المراحل كافة، وفرصة لما للجامعات العربية والإسلامية بين كل أقلية من الأقليات أو تجمع منها، مع بث روح التعاون مع السلطات المحلية، ونشر الثقافة الإسلامية بالوسائل المستحدثة سواء الثقافة العامة أو المدرسية بالمسجلات، والمصورات، وتبادل الزيارات مع المثقفين من أجل هذه الأقليات، والمطبوعات، والدوريات كالمجلات، والصحف، وامتداد النشاط التجاري والاقتصادي، وإنشاء المراكز الثقافية العربية الإسلامية، وتبادل الاستثمار بإنشاء المؤسسات التي تتولى الاستثمار الإسلامي لدى تلك الأقليات، والأوضاع المناسبة بكل منها مع التواصل المساحي، والإعلامي والاقتصادي والسياسي، كل ذلك بالقنوات المشروعة المعروفة دولياً، وبهذا تندمج هذه الأقليات، وتنتمي إلى مجتمع الكثرة الإسلامية التي نطلق عليها دار الإسلام.



## العبادة والعمل

قال الله - سبحانه وتعالى -:

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١)

بهذا القول الفصل من الله - سبحانه - كان اقتران العبادة والعمل، فليس لأحد من المسلمين أن يجافي أيهما، أو أن يحيف على واحد منهما، فكل مجاله وأوقاته، وما طلب الله من أحد الانقطاع للعبادة، والتخلي عن العمل الذي يكسب منه قوته، وتزدهر به حياته، بل حياة الناس جميعاً، من بيع وشراء، وأخذ وعطاء، وحرث وصناعة وبناء، فالإسلام دين سعي وكسب، يجمع بين مصالح الدنيا والآخرة، يمتدح المؤمن القوي، والغني النقي ويزكي المؤمن المحترف، ويكره الخالي من العمل، ويقول - ﷺ -: «لأن تذر ورثتك أغنياً خير وأحب إلى الله من أن تتركهم فقراء» (٢)، ولقد استأذن بعض الصحابة رسول الله - ﷺ - في أن يبيعوا عقارهم وأموالهم، ويشتروا بها سلاحاً وخيلاً يجاهدون عليها في سبيل الله، فنهاهم عن ذلك، وقال: «أمسكوا عليكم أموالكم ولا تفسدوها» (٣)، واستأذنه أحدهم في أن يتصدق بكل ماله فنهاه عن ذلك، واستأذن آخر في اعتزال الدنيا، والتفرغ للعبادة فنهاه، وقال لعبد الله بن عمرو بن العاص: «ألم أخبر بأنك تقوم الليل وتصوم

(١) الآية ١٠ من سورة الجمعة.

(٢) رواه الجماعة، نيل الأوطار ج٦ ص: ٢٧.

(٣) رواه أحمد في مسنده عن جابر، ومسلم وابن حبان، جامع الأحاديث للسيوطي.



## الدعوة إلى الله

النهار؟» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «فلا تفعل فإن لنفسك عليك حقاً، ولزوجك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه»<sup>(١)</sup>.

فإذا جاءت بعض النصوص الشرعية داعية إلى التفرغ لعبادة الله، فإن هدفها العبادة التي فرضها الله بالإخلاص في أدائها، والمحافظة عليها، فمتى دخل وقت الصلاة المفروضة كان حتماً أن يبادر إلى أدائها بشروطها، وأركانها وسننها، وأن تترك - من أجلها - كل ما يشغلك عنها.

وإذا حضرت فريضة الزكاة، وجبت المبادرة إلى إخراجها إلى مستحقيها، وبذلك ترخص الدنيا عند حضور واجب فرضه الله، فإنه ما استجلبت نعم الله، وما استدفعت نقمه، بمثل المحافظة على طاعته، والإخلاص في أداء فرائضه.

فالعمل الصالح هو: همة التقى، ولا يضره مع ذلك أن تنشغل جوارحه بالعمل والكسب، لأن الدنيا متاع يتمتع بها المؤمن إلى ما هو خير منها، يزرع فيها ليحصد الثمرة رضواناً من الله، ورحمةً وهدياً، يعمل في دنياه عملاً لا يضر بآخرته، ويعمل لآخرته بما لا يضر بدنياه.

ومن ثم كان على المؤمن أن يجد في العمل للدنيا وللآخرة، بل إن العمل الذي ظاهره للدنيا، مع النية الطيبة، وهو عمل يثاب عليه من الله، فما زرع زارعاً فأكّل منه إنساناً أو حيواناً إلا كان له به صدقة، وإن سعي الرجل ليعف نفسه عن المسألة صدقة، وإن سعيه على رزق زوجته وأولاده في سبيل الله نوع من أنواع الجهاد، كما جاء في أحاديث رسول الله - ﷺ.

فاعمل أيها المسلم وأد حق الله، إنك إن فعلت تكن قد جمعت الحسنيين، ولا تلتفت إلى أولئك الذين يفسدون حياتهم بالإعراض عن ذكر الله وعبادته، كفرّاً

(١) حديث متفق عليه في رياض الصالحين للنووي.

## العبادة والعمل

بنعمته، ونكراناً لفضله، أو يضيعون دنياهم بالابتعاد عن العمل المباح، والكسب الحلال، ويقعدون عن طلب الرزق، وقد علموا أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، وأن الله الذي دعانا إلى طاعته بعبادته بما افترضه علينا من فرائض، وما حده لنا من حدود، هو الذي أمرنا بعمارة هذه الحياة، والسعي في الأرض، والعمل لكسب الرزق، وأوجب أن نوائم بين العبادة والعمل، وأن نجعل العمل ذاته عبادة بالإخلاص والإحسان، فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه.

فالتاجر عليه أن يكون أميناً صدوقاً، لا يغش في كيل، أو سلعة، أو يغالي في الربح فيشقى على الناس، والصانع عليه أن يجود في صنعته، فإن الله يحب إذا عمل العامل عملاً أن يتقنه، وبذلك يؤدي كل دوره، فتزدهر حياة الناس، وتثمر عيشة راضية مرضية، يسودها العدل والرحمة والمودة.

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾<sup>(١)</sup> أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ

هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ ﴿١﴾

(١) الآية ١٨ من سورة الزمر.



## رعاية الإسلام للمصلحة وتيسيره على الناس

روى أصحاب السنن عن النبي - ﷺ - أنه قال: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا»<sup>(١)</sup>.

إن الإسلام راعى مصلحة الناس في أحكامه، فلا تخلوا فريضة من فرائضه أو واجب من واجباته التي أمر بها الله - سبحانه - في القرآن، أو على لسان رسول الله محمد - ﷺ - إلا ووراء ذلك من المصالح للناس ما لا يدخل تحت الحصر.

وإيضاحاً لهذا نقول: إن الله فرض على المسلمين والمسلمات الصلاة خمس مرات في اليوم والليلة يطهر بها القلوب، ويكبح جماح النفوس، فلا تطغى ولا تتكبر، وكيف يراودها هذا الكبر والعجب، وهي ترى نفسها ساجدة خاشعة لربها، معرضة عن كل الدنيا من مال، وولد وزينة، حين يقف المسلم أو المسلمة بين يدي الله مصلياً، مسبحاً، مكبراً، ومن قبل الصلاة قد طهر جسده وثوبه، فأسبغ الوضوء، وأخذ الزينة عند كل مسجد.

ألا ترى فروض الصلاة الخمس قد عودت المسلمين النظام، والنظافة، كما عودتهم على تنظيم الأوقات، فأى مصلحة تلك التي تتبع هذه الفريضة تنظم وتنظف وتقوم السلوك، وتدعو للتواضع والمساواة، فالكل راكم، ساجد لرب واحد، في صف واحد، يختلط فيه الغني والفقير، والأمي والمتعلم، كل الناس من شتى البيئات والهيئات، لا مراسم في الوقوف بين يدي الله إلا ما فرض الله، والفضل

(١) رواه مسلم والبخاري.

## الدعوة إلى الله

للسابق، وهذا الصوم تزكو به نفس الصائم ويطهر قلبه من العجب والكبرياء، يحس بالجوع، فتأخذه الرحمة فتجود يده على الفقراء واليتامى والمساكين.

وهذه الزكاة وسيلة المودة، والتراحم بين الفقراء والأغنياء، وبها تطهر نفس المسلم من الشح والبخل، ويزكو المال مباركاً فيه.

﴿ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۖ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ خَلِيفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (١)

أليست هذه مصالح للناس أفراداً وجماعات أليس تشريعها في الإسلام تقوية للروابط الإنسانية، وإزالة أسباب الشحناء والبغضاء والحسد من المجتمع.

وهذا الحج فريضة ساوت بين الناس جميعاً: كلهم قد تجرد من زينة الحياة، من فاخر الثياب، ولذيذ المنام، وتساووا فيما لبسوه من لباس الإحرام، وتسابقوا في الطواف والسعي ووقفوا على عرفات، وفي المزدلفة ومنى.. مسلمين مستسلمين لله تائبين، عابدين، قد انخلعوا من مظاهر الحياة الدنيا وأخبتوا إلى ربهم يسألون العفو والعافية، إنها مصلحة المصالح تخضع النفوس العاتية، وتذيب القلوب القاسية، فتخشع لذكر الله، وتتواضع لخلق الله، في مشاهد من مشاهد المساواة والأمن والأمان في الإسلام مصون بما شرع الله من رحمة، وعدالة وطمأنينة وسلامة للمجتمع.

قال الماوردي - رحمه الله - في كتابه (الأحكام السلطانية): «الحدود زواجر، وضعها الله للردع عن ارتكاب ما حظر، وترك ما أمر، لما في الطبع من مغالبة الشهوات الملهبة عن وعيد الآخرة بعاجل اللذة، فجعل الله - تعالى - من زواجر

(١) الآية ٣٩ من سورة سبأ.

## رعاية الإسلام للمصلحة وتيسيره على الناس

الحدود ما يردع به ذا الجهالة حذراً من ألم العقوبة، وخيفةً من نكال الفضيحة، ليكون ما حظر من محارمه ممنوعاً وما أمر به من فروضه متبوعاً، فتكون المصلحة أعم، والتكاليف أتم.»

هذه مصلحة المصالح أمان واطمئنان للمجتمع، فالعقوبة ليست في واقعها انتقاماً من الجاني، وإنما هي زواجر وضعها الله للردع عن ارتكاب الفواحش، فالإسلام قرر مبدأ الشرعية، والمساواة، والشخصية للعقوبة، وراعت الشريعة في تنفيذ العقوبة حالة الجاني، وظروفه حين وقعت جريمته....

فالعقوبات الشرعية إنما شرعت رحمةً من الله تعالى بعباده. فهي صادرة عن رحمة الخلق، والإحسان إليهم، ولذلك ينبغي لمن يتولى مجازاة الناس على ما يصدر منهم من تهم أن يقصد بذلك الرحمة بهم، والإحسان إليهم، كما يقصد الوالد تأديب ولده، وكما يقصد الطبيب معالجة المريض.

فكل أمر أو نهى وراءه من الله حكمة بالغة قد تظهر، وقد تخفى على الناس، وقد يبدو أن في العقاب قسوة وشدة، ولكن حقيقة الأمر أن ما قرره الله - سبحانه - في شريعته - الإسلام - من أحكام هي ذات المصلحة، وعين الحكمة والعدالة والرحمة.

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾<sup>(١)</sup>

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾<sup>(٢)</sup>

(١) من الآية ٧٨ من سورة الحج.

(٢) الآية ١٨٥ من سورة البقرة.



## الدعوة إلى الله

ويقول رسول الله - ﷺ -: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»<sup>(١)</sup>.

أي: استعينوا على طاعة الله - عز وجل - بالأعمال الصالحة في وقت نشاطكم وفراغ قلوبكم، بحيث تستلذون العبادة، ولا تسأمونها، مثل ما يفعل المسافر حين يتخير الوقت المناسب المريح فيصل إلى مقصده دون تعب.

أحاديث كثيرة ميسرة ومبشرة، ومحذرة غير منفرة، تفصح عن منهاج الإسلام، وقصده في تشريعه إلى تحقيق مصلحة المجتمع الإنساني بوجه عام والمجتمع الإسلامي بوجه خاص، وذلك الدين القيم الذي ارتضاه الله لعباده.

﴿ أَفْحُكِّمَ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>

(١) رواه البخاري، عن أبي هريرة.

(٢) الآية ٥٠ من سورة المائدة.

## الإسلام رسالة عالمية يخاطب الناس جميعاً على أساس العدالة والمساواة

**العدل:**

**العدل لغة:** ضد الظلم ومادة - عدل - من الألفاظ المشتركة ويقال: عدل في الأمر عدلاً وعدالة: استقام، وعدل في حكمه: حكم بالعدل.

والعدل في حقيقة أمره ذو أبعاد كثيرة، تلمس في العقول، والعمل، والمال، والرغبة، والحكم، والعبادة، ومعاملة الزوجة، والأولاد، والخدم، والناس بوجه عام، والمجتمع.

وذلك أن الشريعة الإسلامية مبناها وأساسها عدلٌ كلها، ورحمةٌ كلها، وحكمةٌ جميعها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى الغية فليست من شريعة الإسلام التي هي عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وفي القرآن الكريم وسنة رسول الله - ﷺ - وسيرته وحياة أصحابه - رضوان الله عليهم - نماذج تقنن مثلاً علياً حملها العدل، وعملت به.

فالعدل من حيث جوهره ليس قاعدة من قواعد الإسلام فحسب، وإنما هو مثل أعلى من حقائق وقيم الإسلام الكبرى، التي حض على تحقيقها، وإشاعتها بين الناس في ثمان وعشرين آية من القرآن الكريم.

## الدعوة إلى الله

منها قول الله في سورة المائدة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨١﴾ (١)

وفي سورة الأنعام:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ ۚ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۚ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١٥٢﴾ (٢)

وفي سورة النساء:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ ۚ وَلَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوَّلَ الدِّينِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۚ فَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ۚ وَإِنْ تَلَوُّنَا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝١٣٥﴾ (٣)

(١) الآية ٨ من سورة المائدة.

(٢) الآية ١٥٢ من سورة الأنعام.

(٣) الآية ١٣٥ من سورة النساء.

وسنجد مثلاً كثيرة من نماذج العدل التي حث عليها القرآن.

فالعدل في عرف الإسلام فريضة وأجبة، فرضها الله على جميع الناس دون استثناء.

كما غرس الإسلام العدالة، وفرضها على المسلمين، كانت المساواة من غرسه، وقيمه، ومبادئه.

فالناس في شرع الإسلام متساوون جميعاً في الحقوق والواجبات، متساوون في تكوينهم، وأصل خلقهم، فلم يخلق الله شعباً أو جماعة من طين أشرف من الطين الذي خلق منه شعب آخر، أو جماعة أخرى.

ولقد أوضح هذا رسول الله ﷺ في قوله: «يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد؛ ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى»<sup>(١)</sup>

ثم تلا قول الله - سبحانه - في سورة الحجرات:

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>

وقد امتدت هذه المساواة إلى مواطن عديدة، أحاطها الإسلام بسياج من القوانين، والقواعد، حيث التزم فيها بمبدأ المساواة الكاملة بين الناس.

ففي مواطن الأصول والتفاخر بالنسب والحسب يقف الإسلام مشرعاً وواضعاً لأصول جديدة في المساواة المطلقة؛ فيقرر الرسول - ﷺ -: «الناس لآدم

(١) مسند أحمد.

(٢) الآية ١٣ من سورة الحجرات.

## الدعوة إلى الله

وَأَدَمَ مِنْ تَرَابٍ»، وفي قول لعمر ابن الخطاب - رضي الله عنه -: «من قصر به عمله لم يسرع به نسبه».

وفي موطن اللون ساوى الرسول - ﷺ - بين الناس جميعاً دون نظر للألوان، واستقر هذا بين المسلمين.

وفي عصر المساواة القانونية المعاصرة نجد أن اللون مازال سبباً للتمايز بين الناس لدى شعوب بلغت من الرقي المادي والعلمي شأواً بعيداً، لكن روح الإسلام وقوانينه قد أذابت العنصرية والتعالي بسبب اللون والجنس بين المسلمين، فاستقرت المساواة بجميع مستوياتها وصورها حقيقة واقعة يلمسها الناس جميعاً. ذلك أن الإسلام هو صاحب الشريعة الوحيدة التي استطاعت أن تقر المساواة مبدأً نافذاً بين الناس جميعاً، وأحلت الانسجام بين القيمة وبين الواقع، وذلك يظهر في موطن القيادة، حيث يقف المسلمون صفّاً أو صفوفاً مترابطة متناسقة، متلاصقين بالمناكب، متجهين إلى قبلة واحدة وخلف إمام واحد، لا فرق بين غني وفقير، ولا أبيض وأسود.

فالمساواة التي شرعها الإسلام في تطبيقها وتحقيقها هي:

المساواة بين جميع أفرادها، ورعاياها في الحقوق والواجبات: مدنية، أو سياسية، وأمام القانون، وأمام القضاء، فليس هناك شيء يمايز بين الناس.

فالعادلة والمساواة تقرر في الإسلام للإنسان، غير مسبوق في ذلك من دين آخر ولا قانون.

## المصالح المعتبرة في الإسلام

ما من فريضة افترضها الإسلام، أو حد استوجبه إلا مصلحة للفرد بل للناس جميعاً، مستهدفاً بها المصالح الدينية والدنيوية.

فقد استهدفت نصوص القرآن والسنة تحقيق المصالح المعتبرة للناس والتي أرجعها العلماء إلى أنواع ثلاثة:

أ- المصالح الضرورية: وهي المحافظة على الدين، وعلى النفس، وعلى العقل، وعلى النسل، وعلى المال، لأن على هذه العناصر جميعاً تتوقف حياة الناس في هذه الدنيا ويوم يلقون ربهم، بحيث إذا اختل بعضها اختل نظام الحياة.

ب- المصالح الحاجية: وهي تلك التي تدفع الحرج عن الناس كما في بعض الصور من المعاملات.

ج- المصالح التحسينية: وهي التي تستهدف الأخذ بمحاسن العادات، وكمال الأخلاق، وقد ألغى الإسلام مصالح كانت لدى أقوام آخرين كالرهبانية، إذ قال رسول الله - ﷺ - «لا رهبانية في الإسلام»<sup>(١)</sup>، ذلك لأنها لا تتفق مع قواعده في العبادات والمعاملات.

وقد ارتضى الإسلام للمسلمين أن يكون معيار الصلاح والفساد من قبل الله وحده، محدداً في القرآن، أو في سنة رسول الله، ذلك لأن: القوانين الأساسية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية لا تتغير، ولا تتبدل؛ بل صلاحيتها مستقرة، مستمرة في كل الأزمان والأماكن.

---

(١) الفتاوى ج ١٠ ص ٣٤٦



## الدعوة إلى الله

وقد أفصحت النصوص القطعية عن أحكام الله بوجه قاطع للشك رافع  
للالتهباس فلا يقبل من أحد أن يستدرك على الله مصلحة يعارض بها نصاً شرعياً  
قطعياً، فإذا قال الله في القرآن في المواريث:

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ<sup>١</sup> فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ  
اَثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ<sup>٢</sup> وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ<sup>٣</sup> وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ  
مِّنْهُمَا الشُّدُسُ<sup>٤</sup> مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ  
الثلثُ<sup>٥</sup> فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدُسُ<sup>٦</sup> مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ<sup>٧</sup>  
ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنْ اللَّهِ<sup>٨</sup> إِنََّ اللَّهُ كَانَ  
عَلِيماً حَكِيماً ﴿١﴾

لم يعد هناك مقال لأحد في هذا الموضوع، فالشريعة الإسلامية استهدفت غاية  
مثالية، على عكس القوانين الموضوعية إذ غايتها نفعية محضة، تقدم مصلحة الفرد  
على مصلحة الجماعة، بينما الإسلام نظم واجب الفرد نحو ربه في العبادات،  
وواجبه نحو نفسه بقواعد الأخلاق بالإضافة إلى تنظيم علاقة الفرد بالمجتمع  
الإنساني فالشريعة الإسلامية دين، وقانون، وأخلاق، وهذه الغاية المثالية هي التي  
أدت إلى عدم الفصل في الفقه الإسلامي بين القواعد القانونية، والقواعد الدينية  
والأخلاقية، فقامت القواعد الفقهية الإسلامية على أساس أخلاقي لم يسبق إلى  
هذا أي نظام قانوني قديماً، أو حديثاً.

(١) الآية ١١ من سورة النساء.

## المصالح المعتبرة في الإسلام

وللإيضاح.. نسوق في هذا ما أسماه رجال القانون بنظرية سوء استعمال الحق.

فقد جرى الفقه الإسلامي على تقييد استعمال الحق ليس فقط بانعدام نية إيذاء الغير، أو انتفاء الإهمال، أو المصلحة بالنسبة لصاحب الحق، بل قيد استعمال الحق فوق هذا بالغرض الاجتماعي والاقتصادي الذي تقرر الحق من أجله. ومن أهم تطبيقات قاعدة - سوء استعمال الحق - في الفقه الإسلامي حقوق الجوار، والرفق بالمدين عند التنفيذ على أمواله، والتدخل في تسعير المواد الضرورية للمجتمع حمايةً له من الاستغلال، أو حبس السلع، وإيقاع الناس في الحرج، والمشقة بناءً على تخطئة المحتكر في حديث رسول الله - ﷺ -: « لا يحتكر إلا خاطيء ».

وقاعدة الضرورة.. فقد أصلها فقهاء المسلمين على أساس من آيات القرآن، والأحاديث الشريفة التي عبرت عن تقدير الضرورات. فأيات التحريم في القرآن استثنت بعدها:

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١)

ووضع الفقهاء قواعدهم المعبرة « لا ضرر ولا ضرار »، « المشقة تجلب التيسير »، « الضرورات تبيح المحظورات »، « الضرر يدفع بقدر الإمكان »، ليس ذلك في المعاملات فحسب، بل وفي العبادات؛ فلا تخلو فريضة من الفرائض إلا وفي الأمر بها، أو في النهي عن المحرم مصلحة من المصالح التي لا تخفى، وإلا وفيه

(١) الآية ١٧٣ من سورة البقرة.

## الدعوة إلى الله

تقدير للضرورة التي هي مصلحة من المصالح. ففي الطهارة تخفيفات، وفي الصلاة تخفيفات منها، وفي الصوم تخفيفات للضرورة، ثم كل عبادة من العبادات وراءها مصلحة للمسلم، فهذه الصلاة بين القرآن ما وراءها (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) حتى قيل إن الله قابل أمراً بنهي فالنفس تأمر بالشر:

﴿ وَمَا أَزِيءُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ ﴾ (١)

والصلاة تنهى عن الشر:

﴿ أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۚ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۝ ﴾ (٢)

وجاء أمر آخر في القرآن مؤكداً لهذا النهي عن الفحشاء والمنكر:

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝ ﴾ (٣)

وهكذا إذا تتبعنا العبادات وجدنا فيها المصالح العاجلة في الدنيا وما عند الله خير وأبقى.

اللهم اهدنا الصراط المستقيم.. صراط الذين أنعمت عليهم غير الغضوب عليهم ولا الضالين... آمين.

(١) الآية ٥٣ من سورة يوسف.

(٢) الآية ٤٥ من سورة العنكبوت.

(٣) الآية ١٥٣ من سورة البقرة.

## منهج التدين في الإسلام

يرشدنا إلى هذا المنهج ومنطقه قول الله - سبحانه -

﴿ أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ  
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۚ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (١)

وقول الرسول - ﷺ -: « ومن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، لم يزد من الله  
إلا بُعداً » (٢).

ومن ثم كان من المحتم أن يتضح مفهوم الدين مقروناً بإيضاح السلوك  
المستقيم في الفكر والعمل والخلق، كمكونات له، مع استبعاد كل الوسائل الهابطة،  
وما لا يناسب الدين من كل منهج وافد، ومن سوء فهم حقيقة الدين، واستبعاد  
الانحرافات والخرافات المتراكمة، مما يؤثر على فكر الشباب وخواطرهم.

ويجب استمداد المعلومات الدينية من حقائقها الأصلية التي تطبع الحياة  
بطابعها الإنساني المتكامل دون تناقض مع الحقائق العلمية، وتقدم الإنسانية؛ لأن  
الدين والعلم متكاملان، غير متناقضين، وآيات القرآن الكريم التي تزكي العلم  
والعمل كثيرة وفيرة.

ثم إن الشباب يجب أن يعرف معنى الإيمان ومعنى الإسلام، وأسس الإسلام،  
وكبائر الذنوب وصغائرها، وأن مرتكب الكبيرة ليس بكافر، وأن تكفير المسلم من  
الكبائر، وأن للجهل والخطأ والإكراه عفو بشروط لكل منها، وأن يعرف المنهج

(١) الآية ٤٥ من سورة العنكبوت.

(٢) أورده ابن كثير في تفسيره عن عمران وابن عباس مرفوعاً.

## الدعوة إلى الله

القويم للدعوة إلى الله، ومراتب الدعوة، ومن يقوم بكل مرتبة منها، وضوابط تأويل آيات القرآن الكريم، والاجتهاد لاستنباط الأحكام الشرعية من أدلتها الأساسية، وغير هذا من الأمور العامة، والهامة التي تدور على الألسنة، والتي يقع من يواجهها في حرج خطير إذا لم يكن قد تأهل لها بالعلوم، والمعارف المؤهلة لارتياها.

وإذا تفهم الشباب حقيقة الدين، وترايط العقيدة والأخلاق والسلوك مع العمل، ونشؤوا على سلوك قويم محبين للفضائل عزوفين عن الرذائل، استقام أمرهم، واعتزوا بدينهم وبوطنهم وباعدوا بين أنفسهم وبين الانحراف كل الانحراف.

وفي شأن المسؤولية نحو الشباب! فإن الإسلام قد حمل كل فرد المسؤولية الناجمة عن عمله ومعتقدده، وهذا واضح في آيات القرآن الكريم.  
ومن ذلك قول الله - سبحانه -:

﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾<sup>(١)</sup>

ومن ذلك قول الله تعالى:

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾<sup>(٢)</sup>

(١) الآية ٣٩ من سورة النجم.

(٢) من الآية ٧ من سورة الإسراء.

## منهم التدين في الإسلام

ولقد حذر الرسول - ﷺ - ابنته فاطمة، وعمته صفية بنت عبد المطلب بقوله الشريف: «يا فاطمة بنت محمد اعلمي، فلن أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب، لن أغني عنكم من الله شيئاً...»<sup>(١)</sup>

وهذه المسؤولية الفردية متنوعة، تشمل كل علاقات الفرد مع نفسه، ومع غيره، ومع ربه.

ومن هنا كانت مسؤولية الشباب عن نفسه على هدي ما تعلمه وما فعلته المسؤولية الجماعية عن الشباب، ومن مسؤولية الشباب نحو نفسه من يحذر أولئك المفسدين الذين يذشرون الأفعال السيئة، وينطقون بالأقوال الموجهة إلى الفساد والمحرضة عليه.

فهم يغرون الشباب باتباع وإشباع أهواء النفس ونزواتها ورغباتها نزولاً على مبدأ الحرية المطلقة التي تتسم بسمة الفوضى والوجودية.

كما يغرونهم بالتمرد على نصائح وتوجيه الآباء والمربين بدعوى أنهم رجعيون صدأت أفكارهم، فلم تعد تساير الأجيال الجديدة، ثم إغراء الشباب بالتقليد لكل وافدٍ من العادات والأعراف، ولو كان قد هجره أهله..

ومع كل هذه الأهواء كان سوء فهم الدين..

### معنى الدين:

كلمة الدين في لغة العرب من الألفاظ المشتركة بين عدة معانٍ.. فيقال:

دان الرجل إذا أطاع.. ودان إذا عصى.. ودان إذا عَزَّ، ودان إذا ذَلَّ... فهو من الأضداد...

(١) ذكره أحمد في مسنده.



## الدعوة إلى الله

ويطلق لفظ الدين أيضاً على العادة والشأن.. والدين في الاصطلاح الإسلامي: وضع إلهي شرع لإسعاد الناس في حياتهم في الدنيا والآخرة. وهو المراد بالهدي الذي نبه الله إليه سيدنا آدم - عليه السلام - عندما أهبطه إلى الأرض في قوله - تعالى - في سورة طه:

﴿ قَالَ أَهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ ﴾ (١)

وهذا الهدي الإلهي الذي جعله الله - سبحانه - هدياً لآدم وذريته جاءت به الرسل متتابعين وحيّاً من الله - سبحانه - حتى انتهى إلى خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد - ﷺ -، وإذا كان الدين وحيّاً من الله - سبحانه - كان فيه كل سعادة للناس في الدنيا والآخرة. وكان هو وسيلة الإنقاذ.

(١) الآيتان ١٢٣ و ١٢٤ من سورة طه.

## دور المسجد في التوجيه الاجتماعي

### للمجتمع الإسلامي

يؤدي المسجد دوراً هاماً في المجال الاجتماعي بالنسبة للمجتمع الإسلامي، حيث كان - ولا يزال - يعمل على المحافظة على تماسك الأسرة الإسلامية ثم الأمة الإسلامية، وذلك عن طريق ما يلقي فيه من محاضرات وخطب تتناول اهتمامات الشعوب الإسلامية في كل شأن من شؤون الحياة.

ولعل من أبرز المجالات التي ينبغي أن يقوم بها المسجد في العصر الحديث هو أن يكون محوراً لمجموعة من الخدمات الخيرية كأن يكون إلى جانبه: مستوصف طبي لمعالجة المرضى، ونادٍ للشباب يمارسون فيه الرياضة البدنية الخفيفة، والنشاطات الثقافية، والترفيهية البريئة، ومكتبة للقراءة والمطالعة، وداراً لعرض الأفلام العلمية والاجتماعية والتربوية الهادفة، إلى غير ذلك من النشاطات الأخرى. وبذلك، يسترجع المسجد دوره التوجيهي الهام في المجتمع حسب متطلبات العصر الحديث، ولذلك ينبغي إعادة النظر في هندسة بناء المساجد في وقتنا الحاضر، حتى تكون وافية بالأغراض الاجتماعية النافعة للجماعة الإسلامية، بالإضافة إلى وظيفتها الأساسية، وهي: العبادة، والتوجيه الديني.

ولقد انتشرت في عصرنا ظاهرة الدروس الخاصة للطلاب - في مختلف المراحل التعليمية - وأولى بالمسجد أن ينشط إلى مساعدة الطلاب تيسيراً لهم في مكان آمن يستظهرون فيه دروسهم، ويجدون فيه المرجع: من الكتاب في المكتبة، والأستاذ المتخصص في المواد المختلفة.

## الدعوة إلى الله

ولقد كان المسجد في صدر الإسلام هو: المكان الذي يتخرج منه العلماء،  
والفقهاء والقادة الصالحون.

كما كان المسجد هو: المركز الذي تدار فيه حياة المجتمع، وعلى نور رسالته  
تسير خطى حياة الناس.

كان بحق كما وصفه الله في قوله:

﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ  
﴿٢٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ  
يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ ﴿٢٧﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا  
وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ﴿٢٨﴾ (١)

وقد أجمل ابن تيمية - رحمه الله - وظائف المسجد على عهد رسول الله - ﷺ -  
بقوله: "وكانت مواضع الأئمة ومجامع الأمة هي المساجد، فإن النبي - ﷺ - أسس  
مسجده المبارك على التقوى، ففيه الصلاة، والقراءة، والذكر، والتعليم، والخطب،  
وفيه السياسة، وعقد الألوية، وتأمير الأمراء، وتعريف العرفاء، وفيه يجتمع  
المسلمون، لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم".

إن أداء الصلاة في جماعة، وظيفية من وظائف المساجد تنمي في الإنسان  
المسلم صفات وخصائص، تقربه من الله - سبحانه - وتقويه ارتكاب المعاصي وتحيي  
الوازع الديني لديه، ويعينه هذا على أن يصلح ما بينه وبين الناس.

(١) الآيات ٢٦ : ٢٨ من سورة النور.

## دور المسجد في التوجيه الاجتماعي للمجتمع الإسلامي

والصلاة في جماعة تحقق التآلف والتراحم والمساواة بين المسلمين، وقد وردت الأحاديث الصحيحة التي تحت على صلاة الجمع والجماعات في المساجد، حيث تَفْضَلُ صلاة الجماعة على صلاة الفرد في بيته أو سوقه بسبع وعشرين درجة.

ولقد أوضح الرسول - ﷺ - حكمة صلاة الجماعة، وما تنطوي عليه من تكوين روح الجماعة بين الناس وإشاعة المودة والتراحم فيما بينهم، في قوله الشريف الذي رواه الإمام أحمد عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أنه قال: «إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاة القاصية، والناحية، فأياكم والشعاب، وعلمكم بالجماعة والعامّة والمسجد».

وفي المساجد الجامعة تقام صلاة الجمع، بما فيها من خطبة يتعلم منها المسلمون ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، ويتداولون فيما يهتمهم من الأمور ويتعاطفون، ويتأزرون، كي تتواصل المجتمعات الصغيرة.

وفي المساجد ذكر الله - تعالى - الذي يدخل فيه تلقي العلم، وتعليمه، والدعوة إلى البر، ومزاولته، من أجل رضا الله، والتماس رحمته ومغفرته.

لقد تلقى الصحابة - رضوان الله عليهم - في المسجد: القرآن وعلومه، والسنة الشريفة، قولاً، وتقريراً، وأفعالاً، فكان المسجد بهذا ميزاناً لشخصية المسلم الكامل، والمجتمع الفاضل الذي وصفه الله في قوله - تعالى -:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ

ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ ﴿١﴾

(١) الآية ١٦٤ من سورة آل عمران.

## الدعوة إلى الله

إنه - ﷺ - معلم يقرأ القرآن على المسلمين، ويشرح آياته، ويعمل على تطهير نفوسهم، ويعلمهم الحكمة وأموراً شتى لم يكونوا على علم بها.

والنبي - ﷺ - يعرف وظيفته، ويستشعر مهمته، ومسؤوليته التي حملها إياه ربه - سبحانه وتعالى - فيقول: «إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني»<sup>(١)</sup>.  
ويدرك صحابته - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين - هذا حيث وصفه أحدهم بقوله: «ما رأيت معلماً قبله، ولا بعده أحسن تعليماً».

من هنا كانت أهمية المسجد في التوجيه الاجتماعي للمجتمع الإسلامي، وصدق رسول الله - ﷺ - حيث قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه مسلم في صحيحه.

(٢) رواه أحمد في المسند عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري.

## ١- الإسلام والسلام

قال الله - سبحانه - في سورة البقرة:

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (١)

وفي سورة المائدة قول الله سبحانه:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ۖ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢)

السلم نعمة والحرب في كل أشكالها محنة وأوزار.

هذه لغة الإسلام: في طبيعة دعوته، وفي الأسوة الحسنة التي بازدهارها ارتفعت أعلامه وسادت شريعته وأحكامه.

ذلك: أن السلم هو أساس البناء للمجتمع الإنساني، وهو مشرق شمس الألفة عليه، وقوة الأواصر المتشابكة به، ولا تكون الحرب إلا للدفاع عن هذا الأساس من

(١) الآية ٢٠٨ من سورة البقرة.

(٢) الأيتان ١٥ و١٦ من سورة المائدة.



## الدعوة إلى الله

الإسلام ليظل المجتمع المسلم قائماً وشامخاً متماسكاً، ولتبقى الألفة حول الإيمان مشرقة والأواصر في طاعة الله قوية.

ومن هنا، أفاد القرآن في تلك الآيات أن سبل السلام المرشدة إلى نعم الحياة قد جاءت من الله، (قد جاءكم من الله نور وكتب مبين).

ومن أظهر معاني سبل السلام في القرآن أنه لا يُكره أحد على الإسلام، وأية ذلك أن الله أمر بموادعة من ألقوا السلام إلى المسلمين فقال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ أَتَىٰ اللَّهَ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝﴾ (١)

وقال في شأن من كف عن قتال المسلمين وعن الكيد لهم:

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ۚ فَإِنْ ائْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ۝﴾ (٢)

(١) الآية ٩٤ من سورة النساء.

(٢) الآية ٩٠ من سورة النساء.

## ١ - الإسلام والسلام

وإتماماً وضمناً لاستمرار وقيام دعوة الإسلام على السلام، كان من صلاح الأمر أن يكون السلام حافظاً لقوة المسلمين ودافعاً أذى أعدائهم عنهم. وقد حرص الإسلام في وصاياهِ على السلم والسلام طلباً لوحدة الأمة ووقايةً من كل ما يفرق صفوفها ويضعف قوتها؛ فقال الله في القرآن:

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١﴾

وقال:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۚ وَأَصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ٢﴾

وفي الحديث الشريف عن رسول - ﷺ -: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»<sup>(٢)</sup>.

فالإسلام قام على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، ونادى بالسلام الذي اشتق اسمه منه، وجعل تحية أهل الإسلام السلام، وطالما نهى عن البغي والعدوان وتوعد المعتدين والبغاة بأشد أنواع العقاب.

(١) الآية ١٠٣ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ٤٦ من سورة الأنفال.

(٣) متفق عليه.

## الدعوة إلى الله

وفي هذا الحديث ما يشير إلى معنى دقيق سام؛ حيث تلوح عبارته وتشير إلى أن في تسمية المسلم بهذا الاسم الذي منه اشتق اسم الإسلام إشارة إلى أن معنى سلم جعل الناس سالمين من أذاه، وليس معناه فقط جعل نفسه مسلماً لله، وفي هذا التعليل إغراء على المسالمة، وتحذير من مضارة الناس. إذ في حالة المضارة بالأذى، يكون حمل لقب الإسلام كأنه يحمله زوراً وهو ليس له أهل.

وتحقيقاً للسلم، حث الناس على التدخل في الخصام والخلافات طلباً لتسويتها وتحقيقاً للسلم بين الناس.

ففي الحديث الشريف: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قالوا: يا رسول الله: هذا ننصره مظلوماً؛ كيف ننصره ظالماً؟ قال: تمنعه عن الظلم»<sup>(١)</sup>.

وهذه دعوة إلى العدول عن المواقف السلبية في حال الخلاف بين الناس حتى لا يتفاقم الخلاف ويشتد.

ولقد فرض القرآن التدخل إذا وقع القتال بين طائفتين من المؤمنين لإيقاف القتال، كما في سورة الحجرات:

وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا<sup>١</sup> فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفْءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا<sup>٢</sup> إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٢٥﴾

أليس هذا فرضاً على المسلمين أن يسعوا إلى السلام ويوقفوا القتال، بل يقاتلوا الباغين.

(١) رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه.

(٢) الآية ٩ من سورة الحجرات.

## ٧ ١ - الإسلام والسلام

ومن هنا، كان من يقف متفرباً في حال العدوان على أحد وهو قادر على المنع أثماً.

ولنذكر دائماً قول الله سبحانه:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١)

(١) الآية ١٠ من سورة الحجرات.



## ٢- الإسلام والسلام

### (السلام مع الله)

في حديث سابق، تحدثنا عن الإسلام والسلام وأنهما متلازمان معاً يجريان في ثلاثِ شُعَبٍ أولها السلام مع الله:

وهذا ما بدأ به رسول الله - ﷺ - دعوته؛ حيث دعا إلى توحيد الله، فكان من أسس عقيدة الإسلام (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله). هذه الشهادة إعلان من المسلم بدخوله الإسلام وإيمانه بكل ما جاء به من عبادات ومعاملات وأخلاق مجتنباً ما نهى الله عنه.

والمسلم بهذا يكون قد أسلم وجهه لله وهو محسن وتعلق بأوثق ما يتعلق به من الأسباب وهو جانبُ الله عز وجل، كما وصفه الله في سورة لقمان بقوله:

﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَنَقَبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (١)

ومن السلام مع الله الاعتمادُ والتوكلُ عليه بعد الأخذ بالأسباب، ذلك قول الله - سبحانه - في سورة آل عمران:

((فَإِذْ عَزِمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)) (٢)

(١) من الآية ٢٢ من سورة لقمان.

(٢) من الآية ١٥٩ من سورة آل عمران.



## الدعوة إلى الله

ومن السلام مع الله عبادته بما فرض وأوجب، وذلك يتمثل في إقامة أسس الإسلام التي جاءت في حديث رسول الله - ﷺ - الذي رواه البخاري عن ابن عمر: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج».

وينبغي أن تكون كلمة التوحيد نطقاً باللسان واستقراراً في الجنان بمعنى أن يكون القلب بها حاضراً واللسان ذاكراً، حتى تخشع لها الجوارح، وينقشع بها الشيطان، وتمتلىء النفس خضوعاً لربها وشكراً لخالقها على أنعمه التي لا تعد ولا تحصى.

ثم إن كلمة التوحيد براءة من الشرك بالله، تهية النفس للصفاء والنقاء، وتلقأوامر الله بالتسليم والإذعان من غير جدل ولا مراء. ومن السلام مع الله تقواه ومراقبته ونجواه، والإخلاص في العبادة، والعمل الصالح المثمر خير للمسلم وللناس أجمعين.

وتتقوى الله وسيلة إلى العلم، ففي سورة البقرة قول الله سبحانه:

((وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))<sup>(١)</sup>

والتقوى وسيلة إلى اليسر، ففي سورة الطلاق قول الله تعالى:

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾<sup>(٢)</sup>

(١) من الآية ٢٨٢ من سورة البقرة.

(٢) من الآية ٢ من سورة الطلاق.

## ٢- الإسلام والسلام (السلام مع الله)

وفي ذات السورة قول الله سبحانه:

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝﴾<sup>(١)</sup>

فالإسلام مع الله يستتبع الإحسان واليسر، فلا عسر ولا تلبيس في العقيدة، بل سراحة وبساطة، عنوانها كلمة التوحيد المنزهة لله عن كل النقائص، والموجبة له كل كمال وجلال.

وأي عسر في عقيدة الإسلام أو تعقيد بعد قول الله تعالى في سورة النساء:

وأي اعتبار للسلام وللسلم فوق هذا الاعتبار القرآني؟ اللهم..... لا.

إن السلام مع الله إيمان وإذعان وعمل، وتلك هي مكونات الإسلام. فالعقيدة والشرعية بهما صلاح الفرد والأمة، وهذا مما يشير إليه قول الله سبحانه في سورة الأنعام:

﴿قُلْ إِنِّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ۚ وَأُمِّرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

ومن السلام في الإسلام أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. حضور كامل في العبادة؛ فإذا كنت في الصلاة فاذكر أنك تناجي الله رب العالمين بما علمنا في كتابه في سورة الأنعام:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ

وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمَسْلُومِينَ ۝﴾<sup>(٣)</sup>

(١) من الآية ٤ من سورة الطلاق.

(٢) من الآية ٧١ من سورة الأنعام.

(٣) الآيتان ١٦٢ و ١٦٣ من سورة الأنعام.

## الدعوة إلى الله

فيخشع قلبك وتطمئن جوارحك، وتسبح باسم ربك العظيم وباسم ربك الأعلى، وتوقن بأن التسبيح لله في ركوعك وفي سجودك باطمئنان وإيمان تقرب إلى الله، وعبادة له سبحانه بما شرع وأحب، ألا تراه قد استجاب دعوة ذي النون كما جاء في سورة الأنبياء:

﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُصْحِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾<sup>(١)</sup>

إن السلام مع الله يتحقق بأن يكون الإسلام كله حاضراً وماثلاً ومتمثلاً في المسلم بجملة مقوماته ومكوناته: بالعقيدة والأخلاق، بالعبادات والأذكار، بالمعاملات والتشريعات. إذ الإسلام إنما ينهض بناؤه بكل قواعده وأركانه، ومنها تكون منطلقاته في التعامل مع الحياة والسلوك مع البشر، كما بدت تطبيقاته في أجمل صورة وأكمل مثال، في أخلاق رسول الله - ﷺ - وفي سلوك خلفائه وصحابته وسير الهداة المهديين:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢﴾ ﴾<sup>(٢)</sup>

(١) الآيتان ٨٧ و ٨٨ من سورة الأنبياء.

(٢) الآيتان ١٥ و ١٦ من سورة المائدة.

### ٣ - الإسلام والسلام مع النفس ومع الناس

تحدثنا عن الإسلام والسلام، وعن شعبة من شعبه الثلاث، وهي السلام مع الله، ونستكمل هنا حديثنا عن شعبتيه الباقيتين:

#### أولاهما: السلام مع النفس:

إن السلام الإسلامي ثمرة غرس الشمائل والفضائل والتقوى والتوكل على الله ومحبته، مما أصل الشرع، وأثل للحياة من عقيدة وأخلاق ليقوم المجتمع الإنساني المتوازن، مجتمع الإحسان والعدل، الذي تصان فيه الحرمات والحريات، وتؤدى الحقوق والذمم، ويحصر السوء في أضيق المسالك، إذ النفس الإنسانية أماراة بالسوء، كما وصفت في سورة يوسف في قول الله سبحانه:

﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴾ (١)

ومن ثم، جاء الإسلام بالآداب والأخلاق والتشريعات التي تغلب في نفس الإنسان روح الخير وتهديها إلى تكوين المجتمع الفاضل الذي ابتغاه الله للناس. ووصولاً إلى سلام الإنسان، كل إنسان في نفسه كانت توجيهات الإسلام إلى الخير تعبئة نفسية وعقلية وأخلاقية وتشريعية، حيث وظف الإسلام كل خصال الخير في النفس البشرية، واستنهضها إلى سبيل الله وهو: (السلام) بالحكمة والموعظة الحسنة.

---

(١) الآية ٥٢ من سورة يوسف.

## الدعوة إلى الله

والسلام مع النفس: أن تتجه إلى صنائع المودة وفعل الخيرات لجميع الخلق،  
ففي سورة آل عمران قول الله سبحانه:

﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ (١)

ومن ثم: كان صنع الخير لذات الخير مطلباً إسلامياً دون نظر إلى ما إذا كان  
قد صادف من هو أهله أو لم يكن كذلك.

هذا سبيل من سبل السلام مع النفس في الإسلام، حتى تقدم على الخير  
تؤديه دون مقابل، ولا ترقب جزاءً، كما وصف الله بعض عباده المؤمنين بقوله تعالى  
في سورة الإنسان:

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (٢) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا

نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٣) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (٤) (٢)

ومن السلام مع النفس إلزامها بالفضائل، فالصدق فضيلة يجب أن يلتزم بها  
الإنسان، لأن الصدق من علامات المتقين، ذلك قول الله - سبحانه - في سورة الزمر:

﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٣)

(١) الآية ١١٥ من سورة آل عمران.

(٢) الآيات ٨: ١٠ من سورة الإنسان.

(٣) الآية ٢٣ من سورة الزمر.

### ٣- الإسلام والسلام مع النفس ومع الناس

وفي سورة التوبة:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾<sup>(١)</sup>

والأمانة والوفاء بالعهد وبالوعد وبالعقد كل أولئك فضائل تتجمل بها النفس الإنسانية، وتتجلى فيها هذه الكرائم، حتى تفيض على الحياة البشرية أمناً وسلاماً. والتواضع من حميد السجايا التي ينبغي أن يتواصى بها الناس حتى تسود بينهم المودة والمحبة والحلم، بمعنى الستر والصفح من السمات المحمودة، وقد أثنى الله على إبراهيم - عليه السلام - في سورة هود فقال:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُّْنِيبٌ﴾<sup>(٢)</sup>

كما أثنى قوم شعيب - عليه السلام - عليه في ذات السورة كما في قول الله:

﴿قَالُوا يَشْعَبُ أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشْتَوُا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾<sup>(٣)</sup>

ومن الإسلام مع النفس حملها على الرفق والإحسان في القول والعمل، في العبادة والمعاملة. يشير إلى هذا قول الله - سبحانه - في سورة البقرة:

(١) الآية ١١٩ من سورة التوبة.

(٢) الآية ٧٥ من سورة هود.

(٣) الآية ٨٧ من سورة هود.



## الدعوة إلى الله

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي  
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا  
الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ (١)

وفي سورة آل عمران في صفات المتقين:

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ  
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢)

ومن السلام مع النفس أن تحملها على العفة وعلى العفاف وعلى القناعة  
وحسن السلوك والشكر لمن أحسن إليك والرحمة بالناس، بل وبالحيوان، فقد  
امتدح الله الذين تواصوا بالرحمة في سورة البلد فقال:

﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ ﴾ (٣)

وغير هذا من صفات الكمال، والجمال التي هي من أخلاق الإسلام.  
ومن السلام مع النفس: أن تكفها عن مساوئ الأخلاق، كالبطر، والكبر،  
والإعراض عن النصيح، ففي سورة لقمان: قول الله تعالى:

(١) الآية ٨٣ من سورة البقرة.

(٢) الآية ١٣٤ من سورة آل عمران.

(٣) الآية ١٧ من سورة البلد.

### ٣- الإسلام والسلام مع النفس ومع الناس

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (١)

وفي سورة المائدة قول الله:

﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأُولَىٰ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢)

وأن تكفها كذلك عن الإسراف، وعن البخل.

ففي سورة الإسراء قول الله:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (٣)

ومن السلام مع النفس: أن تكفها عن البهتان والكذب على الناس، بأن ترتكب الجرائم والذنوب، وتلصقها بأخر بريء منها، ففي سورة النساء قول الله - سبحانه:

﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (٤)

وأن تكفها كذلك عن الطعن في أعراض الناس بالغيبة والنميمة، ففي سورة الهمزة قول الله:

(١) الآية ١٨ من سورة لقمان.

(٢) الآية ١٠٠ من سورة المائدة.

(٣) الآية ٢٩ من سورة الإسراء.

(٤) الآية ١١٢ من سورة النساء.

﴿ وَيَلْ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١١ ﴾<sup>(١)</sup>

وأن تكف النفس كذلك عن السخرية من الآخرين، ذلك قول الله - سبحانه - في سورة الحجرات:

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۚ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّغَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝١٢ ﴾<sup>(٢)</sup>

وأن تكفها عن الكذب وقول الزور، ففي سورة الحج قول الله:

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعْظِمْ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِ ۚ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْآنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ۝١٣ ﴾<sup>(٣)</sup>

وفي سورة الزمر قول الله:

﴿ فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۝١٤ ﴾<sup>(٤)</sup>

ومن السلام مع النفس: كفها عن الخيانة، ففي سورة النساء قول الله - سبحانه -

(١) الآية ١ من سورة الهمزة.

(٢) الآية ١١ من سورة الحجرات.

(٣) الآية ٢٠ من سورة الحج.

(٤) الآية ٣٢ من سورة الزمر.

### ٣- الإسلام والسلام مع النفس ومع الناس

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ لِنُحْكِمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَادَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ۝ ﴾<sup>(١)</sup>

وقوله تعالى:

﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۝ ﴾<sup>(٢)</sup>

إن السلام مع النفس يتحقق بمراقبة الله وخشيته، طلباً لصلاح النفس، والبعد بها عن مواطن الهلاك، ذلك ما يشير إليه قول الله - تعالى - في سورة الإسراء:

﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ ﴾<sup>(٣)</sup>

ثانيتها: السلام مع الناس.. أو السلام الاجتماعي:

إن الإسلام أرسى للسلام دعائم، وضرب الأمثال التي تشد الناس للاستمسك به.. فهذا هو القرآن يعود بالناس إلى أصلهم الإنساني الأول، مذكراً بوحدة الأبوين، مستثيراً فيهم صلة القربى التي تعم الإنسانية كلها.

ففي سورة النساء قول الله - سبحانه -:

(١) الآية ١٠٥ من سورة النساء.

(٢) الآية ١٠٧ من سورة النساء.

(٣) من الآية ٧ من سورة الإسراء.

## الدعوة إلى الله

﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝﴾ (١)

وفي سورة الحجرات:

﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝﴾ (٢)

هذه الآيات وغيرها تستنهض الناس أن يتعارفوا، وأن يكونوا إخوة في الإنسانية، وأن يعرفوا لهذه الإخوة كافة الحقوق، بغض النظر عن اختلاف الناس في اللون، والدين، والغنى والفقر، والمهنة، فهذه دعوة إلى السلم والسلام بين بني الإنسان جميعاً تكريماً لهذه الإخوة الإنسانية.

ولقد أوصى الإسلام بالسلام مع: الأهل والزوج والبنين والبنات ونوي القربى والعشيرة، وبالجيران، وبالرفقة في الطريق، ففي سورة النساء قول الله - سبحانه -: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۝﴾ (٣)

(١) الآية ١ من سورة النساء.

(٢) الآية ١٢ من سورة الحجرات.

(٣) الآية ٣٦ من سورة النساء.

### ٣- الإسلام والسلام مع النفس ومع الناس

وفي شأن الزوجين يقول الله - سبحانه - في سورة النحل:

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةٍ  
وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ (١)

وفي سورة الروم:

﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ  
مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢)

أليس في هذه الآيات السلام الذي يشمل المجتمع كله من الوالدين إلى القرابة، واليتامى والمساكين والجيران، حتى ولو اختلفوا في الدين والسلام في الأسرة بين الزوجين والأولاد والأحفاد، تستقيم به الحياة في المجتمع، فيتعاونون على البر والتقوى، ويتناصحون على ما فيه خيرهم، حتى يؤدوا ما خلقهم الله له، من عبادة وعمل في تعاون وتآلف.

وإن السلام في نطاق الإسلام يواجه الشرور التي قد تسيطر على بعض النفوس، ومن هنا كان السلام سلاحاً موجهاً لهذه الشرور التي قد تحيق بالمجتمع أو بالأسرة.

فنرى الإسلام قد بث السلام في العبادات، والأذكار، وفي المثل الأخلاقية، وفي التشريع، ليكون بها جميعاً قوام السلام الدائم، السلام الذي ينعقد عليه القلب.

(١) الآية ٧٢ من سورة النحل.

(٢) الآية ٢١ من سورة الروم.



## الدعوة إلى الله

ففي الصلوات يقول المصلي في التشهد: «السلام عليك أيها النبي» ثم يختم الصلوات بتحيةة السلام حيث يقول المصلي مع الالتفات يميناً ويساراً: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»، وفي الأذكار: «اللهم أنت السلام ومنك السلام» ولقد أوصى الإسلام بأن يكون السلام شعار المجتمع، فأصبحت تحية المسلمين حين التلاقي: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وقد صار شعاراً كذلك حتى عند زيارة الموتى الذين سكنوا القبور «السلام عليكم دار قوم مؤمنين»، «السلام عليكم يا أهل القبور»، وسمى الله الجنة: (دار السلام) فقال في سورة الأنعام:

﴿ هُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١)

وفي سورة الأحزاب:

﴿ حَتَّىٰ تَهُمَّ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ (٢)

وفي وصايا القرآن في رد التحية في سورة النساء قول الله - سبحانه -:

﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

حَسِيبًا ﴾ (٣)

(١) الآية ١٢٧ من سورة الأنعام.

(٢) الآية ٤٤ من سورة الأحزاب.

(٣) الآية ٨٦ من سورة النساء.

### ٣- الإسلام والسلام مع النفس ومع الناس

وفي سورة النور:

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾<sup>(١)</sup>

وفي ذات السورة:

﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَرَكَةٌ طَيِّبَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ ﴾<sup>(٢)</sup>

وفي الدعوة إلى الإسلام كان السلام أيضاً، ففي سورة النحل:

﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَجَدِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝ ﴾<sup>(٣)</sup>

وفي الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة، قال رسول الله - ﷺ -: « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم».

إن المسلم الحق: هو الإنسان المسالم في عقيدته، وفي دعوته وخلقه وسلوكه، ولسانه وموقعه وسائر علاقاته، إنه الأمن متحرراً، إنه روضة سلام يفيء إليها الخائفون حتى وإن كانوا على غير دينه، ذلك قول الله - سبحانه - في سورة التوبة:

(١) الآية ٢٧ من سورة النور.

(٢) من الآية ٦١ من سورة النور.

(٣) من الآية ١٢٥ من سورة النحل.

## الدعوة إلى الله

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ  
مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

ومن عناصر السلام الاجتماعي لدى المسلمين أن الإسلام لا يكره الناس على  
الدخول في عقيدته ذلك قول الله - تعالى :-

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ  
بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢)

وإذا كان القرآن قد استبعد الإكراه، والقسر في نشر العقيدة الإسلامية، لم  
يكن للأمة الإسلامية ما يدعوها إلى الاعتداء على الغير، وحق للمسلمين أن يدافعوا  
عن هذه العقيدة إذا وقع الاعتداء عليها أو عليهم بسببها، وهذا حق مقرر لكل أمة  
تحفظ به ذاتها وكيانها، فالمسلمون بمقتضى نصوص الإسلام مطالبون بعدم  
الاعتداء، وبالمساهمة في إقامة السلام، واستقراره واستمراره، وصون العلاقات  
بعيداً عن القلق والاضطراب.

نجد هذه المبادئ مقررّة في قول الله - تعالى :-

﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ تُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ  
تَبْرُوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (٣)

(١) الآية ٦ من سورة التوبة.

(٢) الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٨ من سورة الممتحنة.

### ٣- الإسلام والسلام مع النفس ومع الناس

وقوله - سبحانه وتعالى :-

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوثُوا قَوْمِينَ لِلّٰهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اَعْدِلُوا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى ۚ وَاتَّقُوا اللّٰهَ ۚ اِنَّ اللّٰهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١)

وقول الله - تعالى:

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ هَآ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ ۚ اِنَّهٗ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٢)

وبهذا الأسلوب الحكيم، الذي هو تنزيل من رب العالمين، يكون المسلمون مأمورين من الله بالتواصل، وتنمية العلاقات الإنسانية، واستدامتها والارتقاء بها. إن الإسلام هو السلام، ويكفي أن السلام من أسماء الله الحسنى. فكونوا أيها المسلمون سلاماً مع الله، ومع أنفسكم، ومع الناس أجمعين، تعودوا أمةً واحدة موحدة، يحوطكم الإسلام بالسلام.

﴿ وَلِلّٰهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ ۚ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣)

(١) الآية ٨ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٦١ من سورة الأنفال.

(٣) من الآية ٨ من سورة المنافقون.



## دعائم الوحدة بين المسلمين

أرأيت إلى أمة اصطفاها الله وجعلها شاهدة على غيرها من الأمم، ذلك قوله تعالى في سورة البقرة:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾<sup>(١)</sup>

أرأيت إلى أمة قام دينها الإسلام على قواعد واحدة، لا تختلف في مشرق عنها في مغرب، ولا شمال عن جنوب، أركان ثابتة جامعة مجمعة تلك هي التي أشار إليها الحديث: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً» متفق عليه.

مفتاح الوحدة، الإيمان بالله ورسوله، تتردد على شفاههم ومن شغاف قلوبهم كلمة التوحيد، ينخلع بها ولها وسواس الشيطان الخناس من الجنة والناس، فتصفوا الأفئدة وتنتهي النفوس عن الغي والإثم، ومتى انتهت إلى ذلك كانت الحكمة ملء القلوب وغذاء الروح، ها هي النفوس قد أذنت لربها بالصفاء له، والإيمان به فقامت تطهر الجسد والثوب:

﴿وَيَبَّسْتَ فُطْرَتَكَ ۖ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾<sup>(٢)</sup>

(١) من الآية ١٤٣ من سورة البقرة.

(٢) الأيتان ٤ وه من سورة المدثر.



## الدعوة إلى الله

وتسبغ الوضوء كما أمر الله مستبشرة بالوقوف بين يدي الله استجابةً لندائه:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۖ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۚ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نَّجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝﴾ (١)

ها هي خاشعة، راکعة، ساجدة لربها ذاکرة، ومن ذنوبها مستغفرة، ولآیات ربها في قرآنه تالیه، حتی إذا فرغت من صلاتها كانت بصلاتها بالناس برًا، وعطاءً، وسخاءً، مزیةً، متصدقَةً، رغبةً إلى الله عن المال والولد، مستذكرةً أنها فتنة في الحياة، مبخلة مجبنة، تعطي المال على حبه مسکیناً ویتیماً، وأسیراً:

﴿ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۝﴾ (٢)

طاعةً لربها وشكرًا على نعمائه، عارفة أن هذا المال وديعة، أو عارية، لن يأخذ منه الإنسان درهمًا ولا دينارًا حين يحين أجله ويودع في رمسه.

(١) الآية ٢٠ من سورة المزمل.

(٢) الآية ٩ من سورة الإنسان.

## دعائم الوحدة بين المسلمين

ثم ها هي النفس، المسلمة المطمئنة، تتشبه بالملائكة، فتصوم شهرها أملاً في التقوى:

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١)

تذكر به حاجة الفقير، والمسكين ذي المتربة، فتسارع إليه غوثاً بما يحفظ حياته أو يعينه كذلك على طاعة ربه، لأن الإنسان أخ للإنسان. ورب بني الإنسان واحد، هو الذي خلق فسوى وقدر فهدى وفضل بعضهم على بعض في الرزق ودعاهم للتساند والتعاون، لتتواصل بهم الحياة إلى حينها الموقوت، ولو أغناهم جميعاً، لطغوا وبغوا وما استقامت بهم أو لهم دنياهم:

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِتْغَىٰ ﴿١﴾ أَن رَّأَاهُ اسْتَعْثَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ (٢)

ومن هنا كان التفاضل في الرزق، فمن أحسن وشكر، أدام الله عليه نعمته. ومن طغى وبغى وقال إنما أوتيته على علم عندي، خسف الله به وبداره الأرض. وأصبح الذين تمنوا مكانه أو مكانته بالأمس يقولون: ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون بنعم الله، فكان صفاء النفس ونقاء القلب وطهارة المال. فقد أفلح من زكى نفسه بالصلاة وبالصوم وماله بالزكاة، ثم هذه الرحلة إلى مؤتمر الحج الأكبر فيه يجتمع المسلمون من كل صوب يتدفقون محرمين متجردين من زينة الدنيا قد نذروا أنفسهم لطاعة ربهم،

(١) الآية ١٨٢ من سورة البقرة.

(٢) الآيتان ٦ و٧ من سورة العلق.

## الدعوة إلى الله

فاعتزلوا كل مرغوب وركبوا الصعب، راجين رحمة ربهم، خائفين عذابه، حاجين ومعتمرين، رجالاً ونساءً، شبيهاً وشباناً، حتى جمعهم الله يوم عرفة. كان ذلك المؤتمر قبل أن يعرف الإنسان المؤتمرات، مؤتمر أمة تدين لربها بالطاعة، وتبلي داعية شاكرة، متشاوره في أمور الدين والدنيا، عالمة أن صلاح هذه بذاك. ثم ينسابون بين المشاعر ولكل مكان ذكره وعمله، حتى إذا أتموا نسكهم طافوا حول الكعبة التي شرفها الله وجعلها أول بيت وضع للناس يصلهم بربهم ويجمعهم خمس مرات مفروضة في اليوم والليلة.

هل ترى لأمة مثل هذه الدعائم؟ إنها صنع الله الذي أتقن كل شيء.

ألا (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) فعودوا أيها المسلمون إلى دعائم الإسلام فأقيموها في أنفسكم وفي بيوتكم وفي مجتمعاتكم، عودوا إلى بنيانكم فأقيموه، فهو ذاتيتكم وخصائصكم التي بها تعرفون وعلى غيركم من الأمم ترتفعون. فما كان الإسلام أسماء تتسمون بها، وإنما ديناً تعتقونه وشرية تتحاكمون إليها، فيستقر بينكم العدل، وتنجاب الظلمات، وتتواصل الشعوب، وتنضوي تحت لواء القرآن، وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الذي ينصر من يشاء.

## حرص الإسلام على طهر الغاية

### وشرف الوسيلة

العمل الصالح الذي تردد ذكره في القرآن الكريم قريناً للإيمان، وتالياً له إشادة بهما، ودعوة إلى اعتناقهما، وهو عمل للدين أو للدنيا، صلح به أمر القائم به، وامتد أثره إلى مجتمعه، فلا يذهب أحد إلى قصره على العبادات فحسب.

يرشدنا إلى هذا الحديث، الذي رواه الطبراني في معاجمه عن القيس بن عجرة - رضي الله عنه - قال: مرّ على رسول الله - ﷺ - رجل فرأى أصحاب رسول الله - ﷺ - من جلده ونشاطه، فقالوا يا رسول الله: لو كان هذا في سبيل الله، فقال رسول الله - ﷺ -: «إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرةً فهو في سبيل الشيطان».

ولا ينبغي أن يأتف المسلم عن أي عمل مشروع يرتزق منه، ذلك أدب الإسلام الذي أرشد إليه الرسول - ﷺ - في حديث أبي هريرة الذي رواه أحمد في مسنده: «والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيذهب إلى الجبل فيحتطب ثم يأتي به يحمله على ظهره فيبيعه، فيأكل، خير له من أن يسأل الناس، ولأن يأخذ تراباً فيجعله في فيه خير له من أن يجعل في فيه ما حرم الله عليه».

هذا هو العمل، والحث عليه في الإسلام، شرف أي شرف، وقوة للفرد وللأمة، العمل المشروع الذي يخدم الاقتصاد ويثري الأمة والدولة، وليس من الأعمال المشروعة احترام لعب القمار ولا التجارة في الخمر والمخدرات وكافة المسكرات والمحرمات ولا صناعتها ولا تيسير الاتجار فيها.

ولنعلم أن من محاسن الإسلام - عقيدة وشريعة - أن الله - سبحانه - ما حرم قولاً أو فعلاً إلا عوض خيراً منه. فقد حرم الربا وأحل البيع والشراء تجارة رابحة. وحرم القمار، وأبدل به المسابقة النافعة في الدين والدنيا، بالخيول والإبل والسهام، وحرم الكذب وشهادة الزور، واستبدل بها الصدق الذي يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة. فالعمل وسيلة لجمع المال بغية إنفاقه، أو استثماره فيما أحل الله.

ولابد أن تكون هذه الوسيلة - المال وجمعه - مشروعة، ومن ثم فإن من استحل الربا باسم الفائدة أو العائد، كان كسبه هذا حراماً. ومن استحل الرقص باسم الفن، كان كسبه حراماً. ومن استحل الخمر باسم المشروبات الروحية أو بأي اسم مما أطلق عليها في عصرنا هذا، لم يخرجها هذا من أنه قد ارتكب منكراً من القول وزوراً، وزين كبيرة من الكبائر، فهذا حديث أبي مالك الأشعري:

«يشرب ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها يضرب على رؤوسهم بالمعازف والقينات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير»<sup>(١)</sup>.

ولا يرضى الله ولا يرضى رسوله - ﷺ - أبداً أن يتخذ الحرام وسيلة إلى غاية محمودة، لأن الإسلام يحرص على شرف الغاية وطهر الوسيلة معاً. ولا يقر الإسلام أبداً ذلك المبدأ الذي ساد في هذا العصر: (إن الغاية تبرر الوسيلة)، وهذا غير صحيح في الإسلام؛ فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً. يدل على هذا ما جاء في السنة؛ فعن جابر أنه سمع رسول الله - ﷺ - في عام الفتح يقول وهو بمكة:

«إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه.

(٢) كما جاء في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما.



## حرص الإسلام على طهر الغاية وشرف الوسيلة

فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَرَأَيْتَ شَحُومَ الْمَيْتَةِ فَإِنَّهَا تَطْلَى بِهَا السُّفْنُ، وَيُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ، وَيَسْتَصْبَحُ بِهَا النَّاسُ؟.

فَقَالَ: «لَا، هُوَ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ: قَاتِلِ اللَّهَ الْيَهُودَ حَرَمْتَ عَلَيْهِمُ الشَّحُومَ، فَجَمَلُوهُ فَبَاعُوهُ، وَأَكَلُوا ثَمَنَهُ».

وَمِنْ هُنَا كَانَتْ وَصَايَا الْإِسْلَامِ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَقْبَلُوا عَلَى الْعَمَلِ الْمَشْرُوعِ، يَكْسِبُونَ بِهِ أَرْزَاقَهُمْ، وَيَسْتَتِمُّونَ فِيهِ أَمْوَالَهُمْ وَخَبَرَتَهُمْ؛ فَطَلَبَ الْحَالَالَ فَرِيضَةً عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، لِأَنَّهُ الْوَسِيلَةُ الْمَثْلَى وَالْمَقْبُولَةُ مِنَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - إِلَى الطَّاعَاتِ. فَالْحَاجُّ إِذَا لَمْ تَكُنْ نَفَقَتُهُ مِنْ حَالَالٍ لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ حِجَّتَهُ، وَالزَّكَاةُ إِذَا لَمْ تَكُنْ مِنْ مَالٍ حَالَالٍ لَمْ يَقْبَلْهَا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - وَلَا بَرَكَةٌ فِي الْمَالِ الْحَرَامِ مَهْمَا كَثُرَ.

وَقَدْ قِيلَ: لَيْتَهَا لَمْ تَزَنْ وَلَمْ تَتَّصَدَقْ، فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ الْخُمُورَ وَيَتَاجَرُونَ فِيهَا وَإِخْوَانَهُمُ الَّذِينَ يَجْلِبُونَ الْمَخْدِرَاتَ وَيُرَوِّجُونَهَا وَيَتَعَامَلُونَ بِهَا بَيْعًا وَشِرَاءً، وَتَعَاظِيًا، كُلُّ أُولَئِكَ كَسَبَهُمْ حَرَامٌ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ لَهُمْ صَوْمًا وَلَا زَكَاةً وَلَا حَجًّا. وَكُلُّ عَمَلٍ مُرْدُودٍ عَلَيْهِمْ؛ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا بِعَمَلِهِمْ هَذَا، حَتَّى يَسْلُبُوا النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ وَصَحَّتَهُمْ.

إِنْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَبْتَغُوا الْكَسْبَ الْحَالَالَ لِأَنَّهُ الْوَسِيلَةُ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَصَدَقَ إِذْ يَقُولُ:

﴿وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ

يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾<sup>(١)</sup>

(١) الآية ٢٧ من سورة المائدة.





## الإسلام دين الإنسانية

يتساءل بعض الناس عن أسباب ظاهرة اعتناق كبار المفكرين في الغرب الإسلام ديناً، بالرغم من طغيان الحياة المادية وتطورها إلى الرفاهية التي تغرق الناس في الملذات والشهوات وتصرفهم عن التدين، فضلاً عن المقارنة بين الأديان. ولكن أولئك الذين ارتفعت بهم علوم العصر وثقافته، ووفرت لهم من زينة الحياة ونعمها ما لم يتوفر للأجيال التي سبقت. كان منهم من فكر وقدر أن الإنسان كما هو في حاجة إلى غذاء بدن لينمو جسمه ويستقيم عوده، في حاجة كذلك إلى ما ينمي روحه ويرقى بها إلى مدارج الأمن والأمان، وفي حاجة إلى أن يعيش في مجتمع ارتقى سلوكه واستنار فكره وارتفع فوق السوءات والسيئات، فسادته الرحمة، لأنه صار مجتمعاً إنسانياً، ارتقت به إنسانيته عن طباع المجتمع الحيواني الذي تسوده القوة والقسوة والغدر والخيانة.

درس أولئك الإسلام في مصادره دراسة المنقب عن كنز يبتغيه أو عن هدف يتغياه، فوجدوا القرآن يقول عن رسول الله - ﷺ - وعن أصحابه - رضي الله عنهم:

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَرَجٍ ۖ أَخْرَجَ شَطَنَهُ ۖ فَتَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ ۖ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۖ ﴾ (١)

(١) الآية ٢٩ من سورة الفتح.

فعرفوا من هذا أن من أهداف الإسلام التراحم والتآخي والتعاون في أداء حق الله في العبادة، واعترافاً بحق الناس في الحياة في أمن وسلام، ثم وجدوا الله يصف رسالة الإسلام بالرحمة فيقول في القرآن:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١)

فالإسلام رحمة للناس جميعاً، تصلح به المجتمعات، فيتعاون الرئيس والمرؤوس والجار مع جاره والبائع والمشتري والمعلم والطالب والزارع والصانع. وعندما تحل الرحمة بين الأمم يسودها السلام.

وجد أولئك أن الإسلام مكن الإنسان من الوجود، فأقام حياته على ضوابط القوة والاستقلالية والذاتية حتى يعمل وينتج ويعمر هذه الحياة بأماله وأعماله وأجياله. ومن هنا، وإلى هذه الغاية، ألغى الإسلام الوساطة بين الإنسان وربه.

فيقول الله في القرآن لرسوله ﷺ:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۚ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي

وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (٢)

(١) الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء.

(٢) الآية ١٨٦ من سورة البقرة.

فليس بين المسلم وربه وساطة ولا حجاب، وهذا هو المسلم في صلواته يقرأ سورة الفاتحة وفيها يتوجه مباشرة إلى ربه كما علمه، فيقول في هذه السورة:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿١﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٢﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٣﴾﴾<sup>(١)</sup>

ها هو الإسلام قد رفع كل الحجب، وما على المسلم إلا أن يتوضأ ويدخل في الصلاة بين يدي ربه، وفيها وبها يصفو قلبه وتهدأ نفسه ويبعد عنها القلق والتوتر العصبي، لأنه استسلم وسلم نفسه إلى ربه. ثم ها هو الإسلام يخاطب العقل الذي فضل الله به الإنسان على غيره من المخلوقات، وبه كان سيداً في هذه الحياة، فكان على هذا العقل أن يحترم إنسانية الإنسان، دون نظر إلى لون أو جنس أو غني أو فقير، وفي هذا قال الله في القرآن:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً<sup>١</sup> وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ<sup>٢</sup> إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾<sup>(٢)</sup>

ونادى رسول الله - ﷺ - في المسلمين يوم حجة الوداع:

«الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى»، ذلك حكم الإسلام ونداؤه منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، بينما

(١) الآيات ٥-٧ من سورة الفاتحة.

(٢) الآية ١ من سورة النساء.

لا يزال الناس في الأمم التي غمرتها المادة وجرفت بها الرفاهية يفرقون بين بني الإنسان ويقسمون المجتمع الإنساني إلى فئات وطبقات يوقدون العداوة فيما بينها، ويثيرون هؤلاء على أولئك فتشتعل الحروب وتسفك الدماء التي صانها الله.

**نعم:**

من أجل العقيدة الصحيحة للإسلام ومن أجل تشريعه الذي حكم فأصلح وقام في ظله المجتمع الإسلامي الإنساني يظله الأمن والإخاء والسلام والتعاون والمساواة وأخلاق الإسلام التي تصوغ المسلم الفرد، كما تصوغ الأمة الإسلامية نموذجاً فريداً يقتدى به، من أجل الإسلام كله عقيدةً وشريعةً وأخلاقاً كان دخول الناس في دين الله أفواجاً من كل صوب وحذب ومن الغرب ومن الشرق ومن أرباب الفكر وجهابذة العلوم؛ فالإسلام دين الإنسانية وما على المسلمين إلا أن يتمسكوا بهذا الدين، فقد ارتفعت مآذن المساجد في أرض الله على اتساع مداها، ذلك الفضل من الله القائل:

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝﴾<sup>(١)</sup>

(١) الآية ١٢٥ من سورة الأنعام.

## العقيدة وأثرها في الإصلاح

العقيدة قوة تدفع صاحبها إلى غايته وتجعله غير هيب مقداماً لا يبالي بالعقبات حتى يصل إلى ما ابتغاه؛ فهي بوجه عام أساس كل صلاح. والعقيدة الدينية أصل الإيمان بل هي ذات الإيمان، فمن تحدث بلسانه دون أن يوافق قوله ما في قلبه لم يكن مؤمناً، ومن ساير الناس مسايرة ظاهرية فيما يقولون كان منافقاً، وما هو القرآن يصف هؤلاء المنافقين الذين تنطق أفواههم بما ليس في قلوبهم فيقول الله في سورة المنافقون:

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ﴾<sup>(١)</sup>

وفي سورة البقرة قول الله:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾<sup>(٢)</sup>

هذه العقيدة هي التي تحدث بها رسول الله - ﷺ - يوم أن اجتمع قومه وقالوا لعمه أبي طالب: "إن أراد ابن أخيك مالاً جمعنا له ما يغنيه، وإن أراد جاهاً أو

(١) الآيتان ١ و ٢ من سورة المنافقون.

(٢) الآية ٨ من سورة البقرة.

ذَٰلِكَ مَا جَاءَ فِي سُورَةِ الْكَافُرُونَ:

112



## العقيدة وأثرها في الإصلاح

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (١)

لم يشتغل النبي ﷺ أيضاً بفروع الدين، ولم يفرض عليه طلباً لإرساء الأساس الصالح في العقيدة الصحيحة، كل هذا يدلنا على أن تأسيس العقيدة في المحل الأول من كل دعوة إصلاح، فهي إذا أرسيت التحمت بالقلوب وطاوعتها الجوارح، فكان السير إلى الخير دون رياء أو تظاهر، ينطلق اللسان بالقول الطيب في غير تصنع أو نفاق أو هرب من الحق. إن العقيدة الراسخة تصنع الخير وتدفع إليه وتبعد عن الشر والهلكة. ومن هنا كان قول الرسول الكريم - ﷺ -: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن". (٢)

أي أن العقيدة تستتبع الفضيلة ولا تتصور معها الجريمة ولا الفسوق ولا العصيان، وإن الجريمة حين ترتكب إنما ترتكب في وقت ارتفعت فيه العقيدة والفضيلة وحلت محلها الرذيلة والأفكار الضالة والنزوات الطائشة.

هذا هو الإسلام الذي ربط بين العقيدة والأخلاق الكريمة القويمة التي تلزم صاحبها في جميع الظروف ومع كل الناس بالتعامل الحسن الطيب، فلا يكون التعامل حسب المنفعة والمراتب والأقدار، بل إن العقيدة والخلق القويم هما الموجهان للإنسان إلى العدل والمساواة. وليست العقيدة فردية فحسب وإنما تكون كذلك فريضة جماعية بل واجتماعية تقوم على القدوة الرشيدة والأسوة الحسنة.

إن تدبير أمور الجماعة - سواء كانت أسرة أو شعباً أو أمة - يقتضي دائماً رسوخ العقيدة وقيامها على الحق والعدل؛ إذ الحكم بلا عقيدة كالمسافر بلا زاد.

(١) الآية ٢١ من سورة الذريات.

(٢) رواه النسائي عن أبي هريرة.



## الدعوة إلى الله

إن العقيدة الدينية هي الدافع الأول لما بعدها من العقائد في الاجتماع أو السياسة أو الاقتصاد، لأنها الوسيلة إلى الاستقرار النفسي. ومن حرم ثبات العقيدة الدينية واستقرارها عاش سقيم الفكر مزعزع النفس لا يعمل الخير ولا يدل عليه، بل ولا يحمل الناس على الخير لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

فالإيمان بالله ورسوله هو الذي يعلم الإيمان بحقوق الوطن والمواطنين. وفي كتاب الله القدوة وفي رسوله - ﷺ - الأسوة، فلنصح عقيدتنا ونثبتها ولنؤمن إيمان الواثق بربه وبوعده:

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أُولَٰئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١)

إنه الله سبحانه الذي قال في سورة يونس:

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَسَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (٢)

وليؤمن قادة الأمة وزعمائها بأن الإيمان الصحيح والعقيدة الصافية هي الوسيلة إلى الصلاح والفلاح وصدق الله في قوله في سورة الرعد:

(١) الآية ٦٢ من سورة النمل.

(٢) الآية ٩٨ من سورة يونس.

## العقيدة وأثرها في الإصلاح

﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۚ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١﴾

ولا تغيير لما في النفس إلا بصحة العقيدة ونفاذ البصيرة وعقد النية والعزيمة على الإصلاح والإصلاح فلنأخذ بزمام أنفسنا ولننهيها عن غيرها فإن ذلك عين الحكمة والصواب.

(١) الآية ١١ من سورة الرعد.



## الأمومة في الإسلام

كرم الله الإنسان ورباه على الرأفة والرحمة والمودة لخير الجماعة الإنسانية. وعني الإسلام في تشريعه ببناء أسرة الإنسان، فقد شاهدها على أحكم نظام وبين لكل فرد فيها حقوقه وواجباته حتى لا تغمط الحقوق وتهمل الواجبات. وقد حرص الإسلام في أحكامه على إبراز حق الوالدين والتذكير الدائب بحقوقهما على أولادهما، بل إن الله سبحانه في وصاياه جعل بر الوالدين والإحسان إليهما قرين الدعوة في عبادته وحده، محذراً من الإساءة إليهما بأدنى إساءة، فقال سبحانه:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِندَكَ الْكَبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۚ وَآخِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۚ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ۝ ١٧ ﴾ (١)

بل إن الاختلاف في الدين ليس مبرراً لعدم الإحسان إلى الوالدين في نظر الإسلام:

﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبَتُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۚ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ ٢٣ ﴾ (٢)

(١) الآيات ٢٣: ٢٥ من سورة الإسراء.

(٢) الآية ١٥ من سورة لقمان.

## الدعوة إلى الله

وها هي أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضى الله عنهما - تقول: "قدمت عليّ أمي وهي مشركة فاستفتيت رسول الله - ﷺ - قلت: قدمت عليّ أمي وهي راغبة (تعني تسأل الإحسان إليها) أفأصل أمي؟ قال: "نعم صلي أمك"<sup>(١)</sup>.

هذه عناية الإسلام بأساس الأسرة الإنسانية - الوالدين - وهذه الصحابة الجليّة ذات النطاقين تستفتي رسول الله - ﷺ - في البر والإحسان إلى أمها المشركة الراغبة في الإسلام، والراغبة فيما عند ابنتها هذه ترجو عطاءها وإحسانها، فأجابها - ﷺ -: "صلي أمك".

بهذا ارتفع الإسلام بالأم فوق اختلاف العقيدة تقديراً لأمومتها لأن الأم أصل. وهذا الصحابي الذي جاء إلى الرسول الكريم يسأله: "يا رسول الله: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك"<sup>(٢)</sup>.

قال العلماء مقتضاه أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر لمشقة الحمل ثم الوضع ثم الإرضاع، فهذه الثلاثة تنفرد بها الأم وتشقى ثم تشارك الأب في التربية. وقد وقعت الإشارة إلى ذلك في قول الله تعالى:

﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبُكُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۚ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝﴾<sup>(٣)</sup>

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) الآية ١٥ من سورة لقمان.

## الأموعة في الإسلام

فقد سوى الله بين الوالدين في الوصاية بهما وخص الأم بأمور ثلاثة - بياناً لزيادة فضلها ودعوة إلى اختصاصها بفضل من المحبة والشفقة. إذ قد وصى بها الرسول - ﷺ - ثلاث مرات، فلها على هذا ثلاثة أرباع البر، وتقدم في ذلك على الأب عند المزاخمة. وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الأم تفضل في البر على الأب، من حديث عائشة، قالت: "سألت النبي - ﷺ -: أي الناس أعظم حقاً على المرأة؟ قال: زوجها، قلت: فعلى الرجل؟ قال: أمه" (١).

وفي الجانب الآخر المقابل للبر والإحسان، نرى الإسلام ينذر ويحذر من عقوق الوالدين، فقد جاءت أحاديث الرسول - ﷺ - منذرة عاق والديه بالطرد من رحمة الله، وبأنه لا يدخل الجنة ولا يجد ريحها، بل إن من يؤذي والديه ويخالفهما يعجل له العقاب بمثله في الدنيا فضلاً عن حسابه وجزائه في الآخرة، يؤكد هذا قول الصادق الأمين: "كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين، فإن الله يعجله لصاحبه قبل الممات" (٢).

أي أن مخالفة الوالدين المؤدية إلى سخطهما توقع بالعاق عاقبة في حياته عملاً من أولاده.

وقد قبح الرسول إيذاء الأم ومخالفتها وعدم الإحسان إليها، فقال: "إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنعاً وهات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال" (٣).

(١) أخرجه أحمد والنسائي وصححه الحاكم.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ١٠ ص ٣٣٠ من كتاب الأدب.

(٣) الترغيب والترهيب للمنذري ج ٣ ص ٣٣١، ط الحلبي.

كما حفظ الإسلام كرامة الوالدين ووصى الأولاد بذلك، وفي هذا يقول الرسول ﷺ: "إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه. قيل: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه".<sup>(١)</sup> فقد حرّم الرسول بهذا الحديث كل فعل أو قول يؤدي إلى إهانة الوالدين، وهذا أصل من سد الذرائع، وإن كل فعل أل إلى محرم يكون محرماً، وبهذا يجب ألا يقول الولد شيئاً ما يسب به غيره فيضطر إلى سماع ضد ما يقول بنفس كيله وألفاظه.

قال الفقهاء<sup>(٢)</sup>: "إن من الإحسان للوالدين طاعتهما في المباحات، ويستحسن في ترك الطاعات المندوبة؛ ومن هذا أمر الجهاد الكفاية والإجابة على نداء الأم والاستجابة إليها ولو كان الولد في الصلاة إذا أمكن إعادتها في وقتها. والشواهد على هذا كثيرة من أقوال الرسول ﷺ -<sup>(٣)</sup>.

وها هو القرآن الكريم ينبيء الإنسان كيف أنبته الله في بطن أمه:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا ءَاخِرًا ﴿٢١﴾ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿٢٢﴾﴾<sup>(٤)</sup>

(١) المرجع السابق ص: ٢٢٤.

(٢) تفسير القرطبي ج ١٤ ص: ٦٤.

(٣) المرجع السابق ج ١٠ ص: ٢٤٠.

(٤) الآيتان ١٣ و ١٤ من سورة المؤمنون.



﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأُنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً  
أَزْوَاجًا تَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ  
اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصَرِّفُونَ ۝ ﴾<sup>(١)</sup>

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۚ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۚ وَحَمَلُهُ  
وَفِصْلُهُ ۖ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۚ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ  
أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي  
فِي ذُرِّيَّتِي ۚ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ ﴾<sup>(٢)</sup>

هذه الأم تحمل الإنسان جنيناً يتربى في بطنها وبين أحشائها، ويمر بأطوار  
الخلق التي أرادها الله - سبحانه - حملته في مشقة وبمحبة سعيدة بهذا الحمل  
تشقى به وهي راضية قريرة العين شديدة الحفاظ عليه، تبغي تمام الحمل وكمال له لا  
تبالى بأوجاعه وآلامه، والإسلام في أحكامه التشريعية يقوي من عزمها ويشد  
من أزرها مدة حملها، فيخفف عنها في العبادات إذ يبيح لها الفطر في شهر  
رمضان عوناً لها على مشقات الحمل، وإمداداً لها بغذائه. وبعد الولادة أيضاً  
رخص لها الفطر في شهر رمضان متى خافت تضرراً على نفسها وولدها أو على  
نفسها فقط رعاية لأمومتها وما تتحمل من مشاق وآلام الحمل وجهد الإرضاع  
والسهر على الوليد والقيام على شؤونه. ولقد خففت عنها الشريعة أيضاً في

(١) الآية ٦ من سورة الزمر.

(٢) الآية ١٥ من سورة الأحقاف.

## الدعوة إلى الله

الصلاة وشروطها فاعتبرتها من أصحاب الأعدار. وأجرى عليها الفقهاء أحكام وضوء المذخور وصلاته اعتباراً لمتاعب الحمل ومشقاته، وأنها قد تفوق غيرها من الأعدار. ثم إن الله - سبحانه - كرم الأم الحامل إذا طلقت فأوجب على مطلقها الإنفاق عليها نفقة شاملة للسكنى فقال:

﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُّوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَى حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ ۞ (١) ﴾

قال القرطبي: "لا خلاف بين العلماء في وجوب النفقات والسكنى للحامل المطلقة ثلاثاً أو أقل منهن حتى تضع حملها" (٢).  
وإذا كانت الأم مطلقة ووضعت حملها فعلى مطلقها والد طفلها أجره إرضاعها إياه:

﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَأَمْرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَإِنْ تَعَاَسَ رُمْ فَسَرِّضْ لَهُ أُخْرَى ۚ ۞ (٣) ﴾

وذلك إجماع الفقهاء. أما اختلافهم ففي استحقاق الأم المرضع أجره الرضاع إذا كانت ما تزال زوجة لوالد الطفل. وأجاز الفقهاء جميعاً للأم المرضع طلب زيادة نفقتها أو أجره الإرضاع للاستعانة على تعويض ما تستنفده الرضاعة من مادة

(١) من الآية ٦ من سورة الطلاق.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١٨، ص: ٢٣٣.

(٣) من الآية ٦ من سورة الطلاق.

جسمها، الأمر الذي قد يؤدي في كثير من الأحيان إلى ضعف الأم، وهذا إذا لم تتعهد المرضعة نفسها بغذاء نافع تستعين به على هذا الجهد.

ثم الإرضاع في مدته المقررة شرعاً كما جاء في قوله تعالى:

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ۗ ۝ (١) ﴾

هل هو حق للأم أو هو واجب عليها؟ لفظ هذه الآية يحتمل الوجهين، وعلى كليهما فقد أناط بها الشارع مباشرة هذه المهمة الأولية في بناء وليدها وتكوين جسده حتى يشب وينمو<sup>(٢)</sup>.

وقد قال الفقهاء: إن الرضاع لازم على الأم حال الزوجية لأنه عرف صار كالشرط، ويلزمها ذلك ديانة وقضاء إذا لم يقبل الولد غير ثديها أو لم يكن للأب ولا للصغير مال باعتبار ذلك حال ضرورة، سواء أكانت زوجة لأبيه أو مفارقة له.

وفي تأصيل وجوب الرضاع على الأم أو عدم لزومه يقول ابن رشد: "إن الفقهاء قد اختلفوا في حقوق الزوج على الزوجة بالرضاع: فقال قوم: إن ذلك يجب على من اعتادت الإرضاع ولا يجب على الشريفة إلا إذا تعين عليها بأن كان الطفل لا يقبل ثدي غيرها وإن هذا هو مشهور قول مالك"<sup>(٣)</sup>.

(١) من الآية ٢٣٣ من سورة البقرة.

(٢) حاشية ابن عابدين على شرح الدر المختار ج ٢ ص ٩٢١، ومواهب الجليل ج ٤ ص: ٢١٣-٢١٤.

(٣) بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد ج ٢ ص ٤٩، ط مصطفى الحلبي.

وقال فريق آخر إن إرضاع المرأة ولدها واجب عليها على الإطلاق، ولم يوجب ذلك عليها فريق آخر على الإطلاق، وقال إن سبب اختلافهم هو اختلاف المذاهب في تفسير قوله تعالى: (والوالدت يرضعن أولادهن)؛ فمن قال إنها تتضمن حكم الرضاع بمعنى أنه واجب، أوجب الإرضاع على الوالدة على أساس أن هذه الآية من الأخبار التي مفهوما الأمر في صورة الخبر. ومن قال إنها تعد حكماً مجرداً فقط قال بعدم وجوب الإرضاع على الوالدة لأنه لا دليل على الوجوب. ومن قال بالتفرقة بين الوالدات بحسب مركزهن في المجتمع فقد اعتبر في هذا الرأي العرف والعادة.

بل إن فقه الشريعة، بل نصوصها الثابتة قطعاً، قد أكسبت المرضع حق الأمومة لمن أرضعته من غير والدها، وجعلت الرضيع محرماً لها كابنها ولادة تاماً، وأولادها أخوته رضاعاً، يدل لذلك قول الله - تعالى - في آية المحرمات:

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضْعَةِ ﴾<sup>(١)</sup>

سواء أكانت ظئراً مستأجرة للإرضاع أو كانت متبرعة به، فقد اكتسبت بهذا النص الكريم حق الأمومة وصفاتها، وها هو القرآن قد سماها أمّاً إغرازاً وتكريماً لما قامت به مع أنها لم تلد رضيعها.

وكذلك كان الفقه الإسلامي مع الأم يعرف حقها ولو فوتت واجب إرضاعها ولدها، فأوجب على الأب أن يستأجر مرضعة للطفل عند الأم احتفاءً بعاطفتها وتمكيناً لها.

(١) من الآية ٢٢ من سورة النساء.

ولقد كانت الشريعة حفيظة على الأمومة حفية بها حين أناطت بها حق حضانة أولادها سنينهم الأولى، وما دامت أهلاً للحضانة ولم تتزوج بغير أبيهم<sup>(١)</sup>. وها هي أم تتحاكم مع مطلقها إلى رسول الله - ﷺ - في شأن ولدهما، فتقول: "يا رسول الله، إن ابني هذا كان بطني له وعاء وحجري له حواء وثديي له سقاء وزعم أبوه أن ينتزعه مني، فقال - ﷺ -: بياناً لحكم شرعي مطرد: أنت أحق به ما لم تنكحي - أي تتزوجي بآخر"<sup>(٢)</sup>. وأجمعت الأمة على هذا؛ ويدل لذلك ما شجر بين عمر بن الخطاب وامرأته جميلة بعد أن اختلفا في شأن ابنهما عاصم، إذ خاصمها عمر إلى أبي بكر ليأخذ عاصماً منها بقضائه، فقال أبو بكر: "ريحها ومسها ومسحها خير له من الشهد عندك يا عمر". وكان هذا بمحضر الصحابة، ولم ينكر أحد منهم على أبي بكر قضاءه فكان إجماعاً.

أرأيت إلى هذا الوصف للأمومة في قول الخليفة الأول، وكيف أبان - رضى الله عنه - أثر الأم على نفسية الطفل، وأن عطف الأم وحنوها قد يكون له غذاء وشفاء - أي لرضاء نفسه بكنف أمه وسعادته واستقراره في حجرها، مما يزيد في نموه ويشفيه من سقمه.

وعلى هذا القضاء جرى رأي فقهاء الشريعة الإسلامية، لا يعلم بينهم خلاف في أحقية الأم الحضانة، لأن الصغار عاجزون عن مصالحهم، فكان إلى غيرهم قضاؤها. وكانت الأمهات أحق وأولى بالحضانة لأنهن بالأطفال أشفق وعليهن أحنى وأصبر، وهذا عدل لتوزيع الأعباء والمسؤوليات بين الآباء والأمهات؛ فعلى كل

(١) المدونة ج ٤ ص ٤٣، ٤٤، والمغني لابن قدامة الحنبلي ج ٩ ص ٢٩٨ و ٢٩٩، وزاد المعاد لابن القيم ج ٤ ص ٢٨٨-٢٤١.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده عن عبدالله بن عمرو.



من المسؤوليات ما يوائم طبيعته - فكان على الآباء الإنفاق وعلى الأمهات الحضانة. وإذا قام بالأم مانع من الحضانة أو تخلت عنها؛ فإن حق الحضانة ينتقل منها إلى أمها ثم إلى أم الأب ثم الأخت لأبوين ثم الأخت لأم وهكذا كانت ولاية الحضانة مستفادة من جانب الأم لكمال شفقتها على أولادها، وتنتقل بعدها لقرابتها لاكتسابهم هذه الشفقة بانتسابهم إليها؛ إذ هم فريقها، كما يعبر الفقهاء.

وهذه الأمومة قد منحناها ولاية المطالبة بحقوق طفلها من والده، فلها بهذه الولاية اقتضاء نفقته والقيام على تدبير أمره من تعليم وعلاج وإصلاح - طالما كان في يدها وفي سن حضانة النساء التي تنتهي وفقاً للجاري عليه قضاؤنا بتسع سنوات للصبي، وإحدى عشرة سنة للصبية، وهي نيابة أناطها بها صاحب الشريعة - في قضائه السالف، أو ما نسميه في لغتنا المعاصرة "النيابة القانونية".

وأمومتها لا تختلف ولا تتخلف بتغاير دينها عن دين وليدها، بل لها حق إرضاعه وحضانتها وإن كانت غير مسلمة وهو مسلم، لأن الأمومة فطرة الله لا تحقد على من حملته كرهاً، بل هذه الفاسقة عن أمر الله المقارفة لما نهى عنه لا تسقط أمومتها وحضانتها لطفلها طالما لم تضيعه بفسقها أو يعتاد فعلها المحرم، وأنى لأم أن يضيع معها ولدها إلا إذا تعرت من لباس الأمومة وتفصى قلبها من غلالتها؛ فالفطرة أن ترتفع الأم بولدها إلى الكمال ولا تهوي به إلى ما تراه نقيصة ومذمة وتأمل له خيراً لم تنله. ومن أجل هذا كانت وصايا الله في قرآنه بالوالدين وبالأم دون وصايتها أو أحدهما بالولد، لأنه - سبحانه - فطرهما على محبته وفدائه.

ولذا، جرى القضاء وفاقاً للفقهاء الحنفي على أن الحاضنة الذمية والمجوسية كالمسلمة لكل منهما حق حضانة ولدها المسلم ما لم يعقل الدين، إذ الحضانة مبناها الشفقة، وهذه لا تختلف باختلاف الدين وللاأم أيضاً حق الادعاء بنسب

## الأُمومة في الإسلام

طفلها إلى أبيه، والمنافحة في ذلك لأن في ثبوت نسبه صحيحاً صوتاً لسمعتها، فهو حق أصيل لها بوصفها أمّاً، فأُمومة النكاح أشرف من أُمومة السفاح ولها فضلاً عن حقها، النيابة عن وليدها في إثبات حقه في الانتساب إلى أبيه كي لا يضيع، ويعير بها أو تعير به.

ولم يقف تقدير الشريعة للأُمومة عند هذا الحد، بل إنه إذا أُجْرمت وحق عليها العقاب في حد شرعي أو تعزير، وكان في إنزاله بها إضراراً بها أو بولدها، أو زيادة في تعذيبها أوقفت الشريعة الغراء هذا الجزاء، حتى تؤدي رسالة الأُمومة لتضع حملها وترضع وليدها إشباعاً لهذه العاطفة السامية<sup>(١)</sup> فهذه الغامدية التي اقترفت الخطيئة، فمكنت غير ذي الحق من نفسها، واستقر في أحشائها الجنين ثمرة الخطيئة، وجاءت تبغي عقاب الدنيا، جاءت تقر في صراحة وإقدام ورباطة جأش أمام رسول الله - ﷺ - تقر وتقرر أنها ارتكبت شيئاً إذا كانت عاقبة إثمها حملها المستقر في بطنها، وتطلب إقامة الحد عليها في إصرار التائب النادم العائد إلى ربه، فقال لها رسول الله - ﷺ - صلوات الله وسلامه عليه: "ارجعي حتى تضعي حملك". وبعد أن وضعت، جاءت تحمله مجددة إقرارها، مظهرة إصرارها على إماطة إثمها، ولقاء ربها طاهرة مطهرة، فأشار عليها الرسول بأن تعود حتى ترضعه ويستغني عنها ولما كان ذلك، عادت به، وفي يده تمرات يأكلها، جاءت منيية إلى ربها، تستعجل حدها، عندئذ دفع الرسول - ﷺ - الطفل إلى من يكفله، وأمر بإقامة الحد عليها رجماً حتى أزهقت روحها، وصعدت إلى بارئها، نقية بريئة مغفوراً لها، كما قال رسول الله - ﷺ - في شأنها: "لقد تابت توبة لو وزعت على أهل السماوات والأرض لوسعتهم".

(١) نيل الأوطار للشوكاني ج ٧ ص ٩٢.



وليست شفاعة الأمومة في الحدود في هذا النطاق فقط، بل تسري الشفاعة لو سرقت الحامل ما يوجب قطع يدها أو كانت ضمن قطاع الطريق وقضي عليها بالقطع أو القتل إعمالاً لحد الحراية:

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١)

وإذا اقترفت الأم إثم شرب الخمر وهي حامل وقضي بجلدها، وجب تأخير إقامة الحد عليها حتى تضع حملها تقديراً لأمومتها، بل إن الأم النفساء إذا سكرت ووجب عليها الحد لم يقم عليها الحد حتى تبرأ من نفاسها. (٢)

ويظل قدر الأمومة ومقدارها مثالاً في العقوبات الإسلامية فإذا قذفت الأم الحامل أو النفساء إنساناً، ووجب عليها حد القذف، فإنه (٣) يوقف حتى تضع حملها أو تبرأ من نفاسها، تقديراً لما لاقت من مشاق في الحمل والوضع، وحمايةً لهذا القرار المكين الذي خلقه الله حصناً يتربى فيه الجنين نطفة، ثم علقه، ثم عظاماً كساه الله لحماً، وكان إنساناً سوياً.

وهكذا، تستمر أحكام الشريعة الغراء في رعاية الأم إعزازاً لأمومتها متى استوجبت عقاباً مؤثراً في ذاتها أو جنينها أو وليدها، فتقضي بتأخير التنفيذ إذا

(١) الآية ٢٣ من سورة المائدة.

(٢) المغني لابن قدامة الحنبلي ج ٩ ص ٣٤٩ في باب التعزير.

(٣) المرجع السابق ج ١٠ ص ١٤٠ و ١٤١.

وجب قتلها قصاصاً وكانت حاملاً حتى تضع حملها، وتبرأ من نفاسها، سواء أكانت قصاصاً في النفس أم فيما دونها.

وبعد، فإن الله - سبحانه - منزل القرآن على نبي شريعة الإسلام - ﷺ - (١) الذي قال: "إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم منهم، فقالت: هذا مقام العائذ من القطيعة، قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك، قالت: بلى، قال: فذاك لك، ثم قال رسول الله - ﷺ - اقرعوا إن شئتم:

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ (٣) أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (٤) (٢)

فالرحمن الرحيم قد خلق الرحم وسماه، ووضعها في الأم، وجعله صلة ومودة وقرابة فقال سبحانه:

﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣)

(١) أحكام لقرآن للقرطبي، ج ١٦، ص: ٢٤٧ ورواه البخاري عن أبي هريرة.

(٢) الآيات ٢٢: ٢٤ من سورة محمد.

(٣) من الآية ٧٥ من سورة الأنفال.

## الدعوة إلى الله

وينهى ربنا عن قطيعة الرحم، وقرن فعل هذا العمل بالفساد في الأرض حسبما تقدم قوله: (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم).

هذه الأمومة في الإسلام عطاء لا ينفد، ولا ينتهي، ويكفيها ما جاء في الآثار في الدعوة إلى البر بها وتكريمها «الجنة تحت أقدام الأمهات».

## الأموال واستثمارها في الإسلام

الاقتصاد في الإسلام سياسة تشريعية من الله - سبحانه - في أصولها، وفي ذات الوقت إنسانية من حيث تطبيقها. ونتيجة لهذا، فإنها سياسة ثابتة باعتبار مصدرها ومتطورة في تطبيقها، ومن قبيل هذه المصادر قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١)

وقوله تعالى:

﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٢)

من هذه الأصول وغيرها أخذ فقهاء الإسلام قواعد استثمار المال حذراً من الوقوع في الربا المحرم، مخالفين بذلك عناصر الفوائد الربوية، التي تتمثل في هذه النقاط: تحديد الفائدة قدرًا وزمانًا، مع ربطها برأس المال دون الربح، وتحميل

(١) الآية ١٨٨ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٧ من سورة الحشر.

## الدعوة إلى الله

الخسارة على غير رأس المال، عاملين على تحقيق مناط الاقتصاد في الإسلام، وهو المصلحة لأن الغاية جلب المنافع ودرء المفاسد للفرد والجماعة، يدل على هذا قول الله - سبحانه -:

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۚ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ (١) ﴾

وقوله تعالى:

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَبْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۚ إِذْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ۚ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ شَيْئًا هُمْ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ (٢) ﴾

وقول رسول الله ﷺ "لا ضرر ولا ضرار" (٣).

(١) الآية ٢٧٥ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٨٥ من سورة الأعراف.

(٣) رواه أحمد عن ابن عباس رضي الله عنه.

## الأموال واستثمارها في الإسلام

والأصل في فكرة البنوك: الانتقال من عمل الصيارفة الفردي إلى عمل جماعي ييسر حركة التعامل والتجارة، وقد كان التجار المسلمون يقومون بهذا النشاط بصورة فردية في الزمن الغابر. ولما تأسست البنوك باشرت صوراً متعددة، وتتنحصر أغلب هذه الصور في تحصيل حقوق العملاء لدى الغير، أو القيام بسداد ديونهم، أو تحصيل أرباح الأوراق المالية، أو بيعها، أو تنفيذ اكتتاب في أسهم، ثم أيضاً قبول المستندات والأوراق والأشياء النفيسة لحفظها في الخزائن.

وهذه الأعمال يمكن أن تقوم البنوك الإسلامية بالكثير منها، لأنها قد تدرج في مفهوم العقود الشرعية المعروفة، كالإجارة، والوكالة بالأجر، والحوالة، والكفالة، ومن ثم تحتم تقييم هذه المعاملات لإدراجها تعاقدياً تحت واحد أو أكثر من العقود الشرعية سالفة الذكر، على أنه من المستقر في فقه الإسلام أن العقود غير محصورة وطرق الاستثمار المالي بالتالي يمكن التحديث فيها، بمراعاة القواعد والضوابط التي أشارت إليها الأصول العامة للشريعة - كما قال رسول الله ﷺ: "المؤمنون عند شروطهم إلا شرطاً أحل حراماً أو حرم حلالاً". ولا قيد في الأسماء وإنما الغاية المسميات: فالعمولة المعروفة في الأعمال المصرفية ليست محرمة بالإطلاق، بل إذا كانت وليدة عمل ربوي صارت محرمة، وإذا كانت عملاً تعاقدياً قام به البنك كانت من قبيل الأجرة الجائزة لأن أعمال البنوك في خدمة العملاء تدخل في نطاق عقد الأجير المشترك، وهذا يستدعي عرض هذه العقود على أصول الشريعة للتأكد من بعدها عن المعاملات الربوية.

ولا ينبغي أن يقتصر نشاط البنوك الإسلامية على الأعمال التجارية، بل إن عليها أن تنشئ الشركات الصناعية، ولها في أحكام الاستصناع في الفقه الإسلامي سند كبير، بل إنه يمكن في هذا النطاق إنشاء البنوك النوعية، كبنك



## الدعوة إلى الله

صناعي إسلامي يقوم على إنشاء صناعات تتوفر خاماتها في البلاد الإسلامية، وبنوك كبنك التعمير والإسكان، وإحياء الأراضي البور القابلة للاستصلاح، وهي بحمد الله كثيرة مع توفر سبل إصلاحيها ومواردها المائية في مصر والسودان وغيرهما. كل هذه طرائق لاستثمار مال المسلمين المودع في الخزائن أو المبعثر في البنوك الربوية، يتقوى به أعداء الأمة الإسلامية. وبحمد الله أيضاً تتوفر الخبرات في نواح كثيرة، ومن ثم فإن اتجاه البنوك الإسلامية إلى تلك الوجوه في الاستثمار دون الاكتفاء بالعمل التجاري، يجذب إليها العديد من المتعاملين الذين يبتغون كسباً طيباً، لاسيما في هذا الوقت الذي بدأت فيه الصحة تغزو قلوب المسلمين، دفعاً لهم إلى التماسك والتأخي والتزام أوامر الله واجتناب المحرمات من الربا والفسق.

هذا، ومن المقرر في الإسلام تحريم ركود المال واختزانه، وأصل هذا قول الله تعالى:

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤ ﴾ (١)

والآية التالية لها، وغير هذا من نصوص القرآن والسنة، تدعو إلى مداومة استثمار المال وتنشيطه، سعياً إلى التقليل من أثقال العوز والحاجة بين المسلمين، وحتى لا تتجمد الثروات في يد طائفة محدودة تتحكم بها في المجتمع:

(١) الآية ٢٤ من سورة التوبة.

## الأموال واستثمارها في الإسلام

﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ  
وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ  
فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٥٧ ﴾ (١)

وفقه الإسلام يقرر أن كل ما به قوام الجماعة الإسلامية فتوفيره من فروض الكفاية، بحيث إذا تركه الجميع أثموا ومن أجل هذا كان من مهام البنوك الإسلامية توجيه نشاطها إلى ما يدعم اقتصاد الأمة من صناعة وزراعة وعلوم مستحدثة، بذلك تستحوذ على إقبال أصحاب الأموال المسلمين؛ لأن المأمول من المصارف الإسلامية ألا يقتصر عملها على الإقراض وقبول الودائع، بل عليها أن تسلك الطرق العديدة المستحدثة في استثماراتها، سواء في مجال الإنتاج، أم الخدمات، كأعمال التخزين والوكالة.

ولا شك أن سلوك البنوك الإسلامية في التعامل بأسلوب التعاقد الرضائي مع أصحاب الأموال على الأجر الذي يتقاضاه نظير الخدمات المشروعة التي يقوم بها لهم على وجه رافع للمنازعة، يدعوهم للإطمئنان إلى إسناد أعمالهم إليها، ومتى اطمأن المتعاملون معها إلى حسن ممارستها، وإخلاص القائمين عليها، وحرصهم على تنميتها، إزداد الإقبال على الإسهام فيها، وتكثير رأس مالها، مما يؤدي إلى تفرعها في مختلف أرجاء العالم الإسلامي، وعندئذ تتمكن من الاستثمار بمدخرات المسلمين، ويرتبطون بها في تعاملهم، ولها في سبيل ذلك أيضاً أن تباشر جميع أموال الزكاة، وتبثها قروضاً حسنة للمحتاجين، أو هبات لمن مستهم ضراء من حريق أو فقد عائل، حتى يكون لها بهذا نشاط اجتماعي أساسه أحكام الإسلام وتوجيهاته.

(١) الآية ٧ من سورة الحشر.



## ٢- الأموال واستثمارها في الإسلام

### نظرة أساسية للمال ومنزلته

لعلنا ونحن ننعم النظر في القرآن الكريم نرتاد ما فيه من توجيه وإرشاد نقرأ قول الله - سبحانه:

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (١)

وقوله:

﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (٢)

هذه الآيات المباركات من رب السموات تشير إلى قيمة المال ووضعه في أحكام الإسلام، ذلك لأن المال هو الوسيلة الفريدة والأداة الفعالة في العناصر التي لا بد منها في قيام الحياة العملية لبني الإنسان، إذ إن كل ما تقوم عليه الحياة في نشوئها واكتمالها وأسباب عزها وسعادتها من قوة ومنعة وصحة واتساع سلطان وعمران كل ذلك وسيلته المال.

ومن هنا كان نظر القرآن في تلك الآيات إلى الأموال هذه النظرة الواقعية، وسوى بينها وبين الأولاد، ووصفهما جميعاً بأنهما زينة الحياة، كما وصفها بأنها قوام للناس، باعتبار أنها قوام المعاش والمصالح الخاصة والعامة.

(١) الآية ٤٦ من سورة الكهف.

(٢) الآية ٢٠ من سورة الفجر.

## الدعوة إلى الله

ولما كان الإسلام ديناً وحياة، فقد أقام أحكامه على أساس من واقع مقتضيات الحياة، وزاوج في ذات الوقت بين مطالب الروح ورغائب الجسد، لا تطغى إحداهما على الأخرى.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ<sup>ط</sup> وَاعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

(١) ﴿١١﴾﴾

حياة الروح وحياة الجسد حياة طيبة متوازنة لا تفريط ولا إفراط، فللروح طريق سعادتها بالاتصال بربها، وللمادة طريق خيرها ونفعها، فكان الأمر من الله بتحصيل الأموال بطرق خيرة ينتفع الناس بها، فيها النشاط والعمل وعمارة الكون والاختلاط والتعارف والتعاون والتبادل.

هذا هو الإسلام يستعرض طرق السالفين في كسب المال، فيمنّ على قريش بأن يسر لها في تجارتها ويذكرهم بهذا الفضل:

﴿لِيَلْفِ قُرَيْشٍ<sup>١</sup> إِلَيْهِمْ رِحْلَةَ الْشِتَاءِ وَالصَّيْفِ<sup>٢</sup> فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ<sup>٣</sup> الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ<sup>٤</sup>﴾ (٢)

ثم يوجه النظر إلى نوع آخر من المال وطرق تحصيله والسعي إليه، طريق الزراعة التي بها حياة الأرض واستثمارها، مبرزاً نعمته بإعداد الأرض للزراعة، وبإنزال المياه، لإحيائها:

(١) الآية ٢٤ من سورة الأنفال.

(٢) سورة قريش.

## ٢- الأموال واستثمارها في الإسلام

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَيْنًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَيْكِهَ وَابْنًا ﴿٣١﴾ مَتَّعًا لَكُمْ وَلَئِنَّا لَنَعْلَمُكُمْ ﴿٣٢﴾ ۝ ١﴾

ثم يوجه نظر الإنسان إلى الصناعة التي عليها تقوم الحضارات وهي سلم الرقي للإنسان، ولهذا يشد القرآن الكريم الناس شداً ليهديهم إلى عدد من الصناعات التي لا بد منها في كمال الحياة، فيشير إلى صناعة الحديد بقوله:

﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ ۝ ٢﴾

وإلى صناعة الملابس بقوله:

﴿ يَبْنِي عَادَمٌ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَ تِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ۝ ٣﴾

وإلى إقامة القصور وتشبيد المباني من أجود مواد الأرض:

﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا ۖ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّنْ قَوَارِيرَ ۖ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ ٤﴾

(١) الآيات ٢٤: ٣٢ من سورة عبس.

(٢) من الآية ٢٥ من سورة الحديد.

(٣) الآية ٢٦ من سورة الأعراف.

(٤) الآية ٤٤ من سورة النمل.



## الدعوة إلى الله

وإلى صناعة الأطعمة وغيرها، فإن تتبع آيات هذا القرآن العظيم يجده قد هدى الناس إلى كثير من مطالب الروح ومطالب الجسد، وأنه دعاهم إلى كسب المال وإنفاقه في المشروع من وجوه الإنفاق:

﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذِرْ تَبْذِيرًا ۚ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ۚ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۝١٧﴾ (١)

والقرآن حين أمر بتحصيل المال وجه إلى بعض الطرق المشروعة، وسمى هذا السعي ابتغاء من فضل الله، وشرف هذا السعي في تحصيلها بأن جعله قرين الفراغ من العبادة المفروضة، ولم يأمر بالتوقف عن السعي للمال إلا للعبادة فقط، فقال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١٨﴾ (٢)

وقال:

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٩﴾ (٣)

(١) الآيتان ٢٦ و ٢٧ من سورة الإسراء.

(٢) الآية ٩ من سورة الجمعة.

(٣) الآية ١٠ من سورة الجمعة.

## ٢- الأموال واستثمارها في الإسلام

ثم يعطي التوجيه العام في السعي والكسب مع المنّة بتذليل الأرض وتسخيرها، لنستظهر خيرها من نبات ومعادن وغيرها، مما أبرزه لنا العلم الحديث.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (١)

هذا القرآن قد أبان طريقه ودعوته إلى كسب الأموال وتحصيلها، فما طريقه في الانتفاع بهذه الأموال والمحافظة عليها؟ تراه يحض على الوسطية فهو ينهى عن البخل بها، ويأمر بالاعتدال في صرفها، ويجعل هذا من صفات عباد الرحمن.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (٢)

بل إنه أبان أن الإسراف فيها فيما لا نفع لها ولا ضرورة، والظن بها عن الواجبات والحقوق حسرة وندامة:

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (٣)

وكتاب الله كما طالب بالسعي في كسب الأموال مع الاعتدال في صرفها حذر من تحصيلها بالطرق التي تجلب الشر والفساد للناس، فنهى عن السرقة والتسول

(١) الآية ١٥ من سورة الملك.

(٢) الآية ٦٧ من سورة الفرقان.

(٣) الآية ٢٩ من سورة الإسراء.

والانتهاب؛ لأن كل هذه الطرق تنزع الأمان والاستقرار من المجتمع، ونهى عن استغلالها بالربا وبطريق الاتجار فيما يفسد العقل والصحة، كالخمر والمخدرات والخنزير أو طريق الميسر، وإقامة المراقص لإفساد الشباب وانتهاك الأعراض، وعن استغلال المال في كل ما يفسد الأخلاق ويعيث بالإنسانية، ويذهب بالحقوق والكفايات كالرشوة.

ولعل هذه الآية الكريمة قد حوت في كلماتها كل ذلك وأضعافه:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١)

ولعله ليس بالجديد هذه العناية بالأموال التي نراها تدور في آيات القرآن الكريم، وإنما كانت هذه الرعاية والهداية من رسالات السماء قبل الإسلام، لأن المال كما قيل - عصب الحياة - في كل زمان.

وهذا كتاب الله يقص علينا أمر الذين عتوا عن أمره في هذا السبيل وأكلوا أموال الناس بالباطل:

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۖ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ هُمُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (٢)

(١) الآية ١٨٨ من سورة البقرة.

(٢) الآيتان ١٦٠ و ١٦١ من سورة النساء.

## ٢- الأموال واستثمارها في الإسلام

أحلت لهم بصددهم عن سبيل الله كثيراً وأخذهم الربا.

تلك الإمامة بمنزلة المال في الإسلام كما أنبأ بها القرآن: مصادر وتحصيلاً، وإنفاقاً في الوجوه المشروعة، وسطاً بين ذلك قواماً، وتحذيراً من التبذير والإسراف، ومن اكتسابه بالطرق المحرمة في الإسلام، وعاقبة هذه السلوك الأثيم، حتى تستقيم نفوس الأمة، وتسلم من الجشع وتمتلىء بالحكمة والأخلاق الفاضلة، ومن ثم تطيب الحياة - الروحية والجسدية.



## من يسر الإسلام وآدابه

كان رسول الله - ﷺ - رؤوفاً بالمسلمين، رحيماً بهم وميسراً عليهم ما استطاع. روى أحمد في مسنده أن الرسول ﷺ كان إذا بايعه الناس يلقنهم: "ما استطعت": أي يلقنهم أن يقولوا في عهدهم مع الله أن نفي بالعهد ما استطعنا. وفيما رواه البخاري ومسلم أنه - ﷺ - كان إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال: "يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا". ومما ينبغي العلم به أن التيسير أصل من أصول الدين الإسلامي، وسمة من سماته العامة.

فالتكاليف الدينية هي في حدود الاستطاعة، ذلك قول الله - تعالى -:

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾<sup>(١)</sup>

وقوله: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾<sup>(٢)</sup>

إن هذا الدين سمح ليس فيه حرج ولا ضيق، فقد روي في السنة أن الرسول - ﷺ - قال: "بعثت بالحنيفية السمحة"<sup>(٣)</sup>، وهذا الحديث معبر عما جاء في القرآن الكريم ومبين له ويقول الله عز وجل:

(١) من الآية ٢٨٦ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٢٨ من سورة النساء.

(٣) رواه أحمد.



## الدعوة إلى الله

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِن أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

ويقول سبحانه:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ ﴾ (٢)

ويقول:

﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ بِنِعْمَتِهِ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٣)

هذا أصل من أصول الدين، وقد كان ﷺ بالمسلمين رقيق القلب، رفيقاً بهم، يوصيهم بالرفق بأنفسهم والإشفاق عليها. ففي السنن عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: "كنا في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير - أي يرفعون أصواتهم به، فقال النبي ﷺ: أربعوا على أنفسكم - أي ارفقوا بأنفسكم - وخففوا عنها، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً بصيراً، وهو معكم".

وفيما رواه البخاري ومسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "قال رسول الله ﷺ: إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله".

(١) الآية ٣٠ من سورة الروم.

(٢) من الآية ٧٨ من سورة الحج.

(٣) من الآية ٦ من سورة المائدة.

ولقد كان رسول الله - ﷺ - يحث أصحابه وعماله على الرفق، واللين،  
والتيسير على الناس.

وما أحوج مجتمعاتنا اليوم، على اختلاف طبقاتها من عمال وتجار وصناع  
وكل من ولي أمراً للمسلمين، إلى الأخذ بوصايا رسول الله بالرفق، والرحمة،  
والتيسير على الناس في شؤونهم وحوائجهم.

روى مسلم عن جرير بن عبد الله - رضي الله عنه، قال: "سمعت رسول الله -  
ﷺ - يقول: من يحرم الرفق يحرم الخير. وما نحن أولاء إذا طالعنا أقوال سلفنا  
الصالح من العلماء المجتهدين نجد أنهم قد أجهدوا أنفسهم في استنباط الأحكام  
الشرعية والتشريعية، واضعين في اجتهداتهم، وفهمهم للنصوص العامة في  
القرآن والسنة التيسير على الناس في العبادات والمعاملات اقتداءً بالنصوص  
الصريحة في التيسير. ألا نرى أن الله حين شرع الطهارة للصلاة بالوضوء أو  
الاجتسال بالماء جاء بالبديل عند فقدّه أو تعذر استعماله، فشرع التيمم؟ وحين  
فرض الصوم في شهر رمضان رخص فيه الفطر للمريض والمسافر؟ وجعل العرف  
المستقر الصالح بمعيار الإسلام سنداً وأصلاً للتشريع كما قال الله تعالى:

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ <sup>(١)</sup>

وفي الآثار المروية عن ابن مسعود: "ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله  
حسن". وقوة العرف تكمن في حاجة الناس إليه، ذلك أن استحسان الناس لعادة  
من العادات التي ارتضاها المجتمع، معناه أن المجتمع لا يمكن أن يجمع على  
عرف أو عادة ما لم يكن ذلك مطلباً لحاجة ملحة، ولا شك أن الأحكام التي وكلها

(١) الآية ١٩٩ من سورة الأعراف.

## الدعوة إلى الله

الإسلام للعرف أو العادة تتغير كلما تراجعت أصولها أو اندثرت، وذلك من يسر الإسلام وسماحته.

ولعلنا نقتدي ونستلهم الهداية والإرشاد من الدعاء الذي دعا به رسول الله ﷺ - فيما روى الإمام مسلم في صحيحه - حين قال: "اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم - أي قسا عليهم - فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم - أي رأف بهم قولاً وفعلًا - فارفق به".

## العلم والتعليم في الإسلام

لقد افتتح الله - سبحانه - وحي القرآن الكريم إلى الرسول محمد - ﷺ - بقوله تعالى:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ ﴾<sup>(١)</sup>

وفي هذه حكمة بالغة للمسلمين، ودعوة إلى أمة الإسلام أن تعلموا، واطلبوا العلم، كل العلم.

لقد أكد القرآن هذه الدعوة في العديد من آياته، فتراه يفاضل بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وتراه يشير إلى صنوف من العلوم والمعارف، اصطلاحنا على تسميتها: بعلم الفلك والتقويم وعلم الصحة وعلم الملاحة والأحياء والصناعات والفنون وسائر المخترعات مما أفاض الله علمه - ومايزال - على بني الإنسان، سبحانه - علم الإنسان ما لم يعلم.

وماتزال الإنسانية تتقدم في العلوم والاستكشافات بالصبر والثابرة، والنظر في الكون وما فيه من عجائب وغرائب لفت القرآن إليها الأنظار، وكم من مبتكرات جاءت على مثال أجهزة جسم الإنسان، الذي لفت الله الأنظار إلى كمال صنعه له، حين قال:

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ ﴾<sup>(٢)</sup>

(١) الآيات ١ : ٥ من سورة العلق.

(٢) الآية ٢١ من سورة الذاريات.

## الدعوة إلى الله

«وطلب العلم فريضة على كل مسلم» كما أخبر رسول الله - ﷺ - في الحديث الشريف الذي رواه البيهقي عن أنس، فعلى كل من المسلم والمسلمة، أن يطلب العلم ويسعى إلى تحصيله.

وكلمة العلم في الحديث معرفة بالآلف واللام، فأي علم يعتبر طلبه والسعي إليه فريضة؟ ثم لهذا الحديث مضمون فردي ومضمون جماعي، ومعنى هذا أن ما يعتبر فريضة على مسلم يعتبر مرحلة على الطريق بالنسبة لمسلم آخر.

كما يشير الحديث إلى أن هناك حدًا أدنى للعلم المفروض طلبه، وهو ما يصح به دين المسلم، ويتيسر له به كسب رزقه.

ومن ثم فالعلم الذي يتعلق بالدين مما يصح به العقيدة والعبادة من توحيد ومن صلاة وصوم وزكاة - إذا وجبت عليه - وحج - إذا كان مستطيعاً - فرض يجب عليه طلبه.

وكذلك العلم الذي يتعلق بالحياة اليومية على المسلم أن يتعلمه، لاسيما وفروع العلم متجددة كما تجددت المسؤوليات التي تواجه المسلم.

تلك معالم المسؤولية الفردية نحو فرض طلب العلم، أما على المستوى الجماعي؛ فإن العلم المفروض طلبه على وجه الإجمال هو: ما يصح به دين الجماعة ودنياها.

ولقد كان من التطبيق العلمي لطلب العلم في العصر النبوي، هو ما صنعه رسول الله - ﷺ - حين جعل فداء كل أسير يقرأ ويكتب أن يعلم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة، ولا يغيب عن الذهن أن هذا هو باب العلم والتعليم. ومن ثم، كان توجيه الله في أول ما نزل من القرآن:

﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ ﴾<sup>(١)</sup>

وأقسم الله بالقلم فقال:

﴿ تَبَّ ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>

توجيهها لأهمية القلم والتعليم.

وقال الله تعالى:

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ﴾<sup>(٣)</sup>

فانظر كيف بدأ - سبحانه وتعالى - بنفسه وثنى بالملائكة وثالث بأهل العلم، وناهيك بهذا شرفاً وفضلاً وجللاً ونبلاً، وقال تعالى:

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ ﴾<sup>(٤)</sup>

(١) الآيات ١ : ٥ من سورة العلق.

(٢) الآية ١ من سورة القلم.

(٣) الآية ١٨ من سورة آل عمران.

(٤) من الآية ١١ من سورة المجادلة.

## الدعوة إلى الله

وفي الحديث عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: « لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله - عز وجل - حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس، ورجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الخير » متفق عليه.

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة، ما بين الدرجتين مسيرة ٥٠٠ عام.

ومن الآثار التي وردت في فضل العلم ومكانته قول علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو بالإنفاق.

وقد قيل: ليس شيء أعز من العلم: الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك، وهذا باعتبارهم أهل الحكمة والمشورة، وموئل الفكر والتقدير، كل في تخصصه، وفيما يحسنه.

وقد أمرنا الله تعالى في القرآن الكريم بالتعليم، فقال: - تعالى -:

﴿ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١)

وقال - عز وجل -:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

(١) الآية ١٢٢ من سورة التوبة.

(٢) الآية ٤٣ من سورة النحل.



## العلم والتعليم في الإسلام

وقد قال الرسول - ﷺ -: «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع»<sup>(١)</sup>.

فأعظم الأشياء رتبةً في حق الإنسان السعادة الأبدية، وأفضل الأشياء ما هو وسيلة إليها ولن يذهب إليها إلا بالعلم والعمل، ولا يتوصل إلى العمل إلا بالعلم، فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم، فهو إذاً أفضل الأعمال. وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء أيضاً بشرف ثمرته، وثمره العلم القرب من رب العالمين، والالتحاق بأفق الملائكة، هذا في الآخرة. وأما في الدنيا، فالعز والوقار ولزوم الاحترام في الطباع، فإذا كان العلم من أفضل الأمور كان تعلمه طلباً للأفضل.

وقد قيل للإمام مالك - رضي الله عنه - ما تقول في طلب العلم فقال: (حسن جميل، ولكن انظر إلى الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فالزمه)، فقال: العلم نور يجعله الله حيث يشاء، وليس بكثرة الرواية، وهذا الاحترام والتوقير منه للعمل يدل على قوة معرفته بجلال الله تعالى.

وكان الإمام أبو حنيفة - رضي الله عنه - عابداً زاهداً عارفاً بالله تعالى، خائفاً منه، مريداً وجهه الله تعالى بعلمه، وقد دعي إلى ولاية القضاء، فقال: أنا لا أصلح لهذا، ف قيل له: لم؟ فقال: إن كنت صادقاً فما أصلح لها، وإن كنت كاذباً فالكاذب لا يصلح للقضاء، وأما علمه بطريق الآخرة وطريق أمور الدين ومعرفته بالله عز وجل؛ ف يدل عليه شدة خوفه من الله تعالى وزهده في الدنيا.

ولقد أتى على المسلمين حين من الدهر ركنوا إلى الكسل حتى خمدت ملكاتهم وجمدوا على ما تركه أسلافهم واهمين أن ما ورثوا هو كل العلم، غافلين عن أن العلم إذا ركبت أدواته فقد حركته، ولم يعد مثمراً ولا منبئاً.

(١) رواه أحمد في مسنده من حديث أبي الدرداء.

ولقد ظلوا كذلك عاكفين على ما ألفوا بينما غيرهم يتسابقون من حولهم في أفاق من العلوم والمعارف، فنشط الآخرون إلى اكتسابهم العلم القادر على أن ينظم حياة المجتمع ويرتقي بها ويضع كل فرد في مكانه المناسب ويحدد له مسؤولياته، حتى يقوم بعمله مخلصاً فيه، مؤمناً به، بحيث يؤتي العمل ثماراً ينعم بها الفرد والمجتمع.

وفي هذا العصر تنوعت أفاق المعرفة والعلوم، وصارت مجال تنافس وتسابق، بل صار الصراع العلمي حاداً بين القوى العظمى في العالم وجارداً في المعامل ومعاهد البحوث، فضلاً عن العلوم النظرية الأخرى.

ولست بحاجة إلى أن أوجه النظر إلى ما امتلأت به أجواء الفضاء من أقمار ومركبات، ترقب وترصد كل حركة على الأرض وفي أعماق البحار.

وما زال أبنائنا منصرفين في طلب العلم إلى العلوم التقليدية، مترقبين للتوظيف، قانعين بما حصلوا من علم وتوصلوا به إلى الشهادة التي يأملون.

إنني أذكر أبنائنا وبناتنا أن طلب العلم كل العلم النافع للدين والدنيا أمر يحث عليه الدين ويلتقي معه.

إن الطالب أو الأستاذ يعكف على البحث العلمي في مركزه ومعامله، يؤدي للأمة جهداً لا يقل عن جهد المحارب الذي يحمل السلاح في ميدان القتال ولا عن جهد السياسي الذي يبذل قدراته في مجال السياسة ولا عن جهد رجل الاقتصاد الذي يدبر الموارد المالية ويبتكر طرق تحسينها ويعالج آثار الإسراف والإتلاف على مصادر التمويل.

إن استقلال الأمة - وإن كان مظهره الاستقلال السياسي - بأن يكون للوطن كيانه المستقل ومظهره الدولي وعناصره المحلية من علم ودولة وتشيد وجيش، فإن

هذا كله يعد مرحلة أولى للاستقلال ولابد بعد هذا، بل ومعه، من الاستقلال الاقتصادي؛ حيث تقوم الدولة على مقومات اقتصادية تعتمد عليها قوتها الذاتية.

ومع ذلك فلا بد من العلم والذاتية العلمية للدولة، بمعنى: أن تكون قادرة علمياً على صون استقلالها السياسي، وإدارة اقتصادها وتنميته، وذلك بتربية الكفاءات القادرة على رسم المستقبل وصيانتته والدفاع عنه وتوجيه النهضة العلمية إلى الابتكار، دون الاقتصار على التقليد والاستيراد.

ولا بد أن يحيط كل ذلك ذاتية ثقافية عامة نابعة من الدين والعادات والأعراف والتقاليد، وأن تكون لها حضارتها ذات الخصائص المتميزة؛ فلا تذوب في غيرها، بل لا بد أن تحتفظ بسماتها في اللغة والعادات اليومية والملبس وطرائق التفكير والتعبير.

تلك مجالات طلب العلم، لا يختلف الإسلام معها ولا يختلف عنها، وإليها ينبغي أن تتجه طاقات شباب الأمة دراسة عميقة مفيدة، وأن يتخلص من السطحية التي غلبت في الدراسة وفي التحصيل، وأن تكون له مكتبته التي يجلس إليها وذات علاقة بما استماله من فروع العلوم.

إني أدعو الشباب إلى طلب العلم، كل العلم، والإقبال عليه كما أدعوهم إلى الإقبال على الإسلام علماً وعملاً، وليتعلموا من الدين ما وسعهم وما تصلح به حياتهم وصلتهم بالله وبالناس وبالأسرة بوجه خاص. وأهيب بأولئك الشباب الذين انصرفوا إلى التدين، ولكنهم تحولوا إلى نوع من الانطواء المذهبي أو الطائفي أو العقائدي، واستبدلوا بالسماحة التي هي سمة الإسلام سمات الريبة والغلظة والتقوقع في مجموعات أو جماعات عزلها انطواؤها عن فئات المجتمع الإسلامي، وظنت أنها على الحق وغيرها على الباطل، فنفرت من المجتمع وتحولت بطاقتها

## الدعوة إلى الله

إلى صراع معه أو مع الدولة أو مع الحاكم دون سند أو سبب مشروع. وبدلاً من أن تستهلك طاقات هؤلاء الشباب فيما ينفع الأمة، تستنفد في الصراعات الداخلية، هكذا تنتشعب المسالك التي تؤدي إلى المهالك.

أيها الشباب: خذوا من الإسلام سماحته في الصلة بالله وبالناس وأصلحوا ذات بينكم بالحسنى وبالموعظة الخالصة، وكفوا عما شغلتم به أنفسكم وغيركم من صغار الأمور التي رفعتموها إلى درجات العقيدة وفروض الشريعة.

تحملوا المسؤولية المنوطة بكم، وأمنوا بالله وبالإسلام الذي أمر بالعلم والعمل، واعلموا أن العلم المطلوب - بعد العلم بأمور الإسلام - هو العلم الذي تصلح به هذه الحياة ينميها ويحميها وترهبون به عدو الله وعدوكم، وترفعون به قدر أمتكم والله معكم ولنترككم أعمالكم.

## أهمية النية في الإسلام

عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها؛ فهجرته إلى ما هاجر إليه» متفق عليه.

قال النووي - رحمه الله - في شرح هذا الحديث: أجمع المسلمون على عظم موقع هذا الحديث وكثرة فائدته وصحته، قال الشافعي وآخرون: هو ثابت الإسلام. وقال الشافعي أيضاً: إنه يدخل في سبعين باباً من الفقه. وقال آخرون: هو ربع الإسلام، ونقل أن سبب هذا الحديث: أن رجلاً من قريش هاجر إلى المدينة مع المسلمين من أجل امرأة يقال لها «أم قيس» فعرض به النبي - ﷺ - تنفيراً للناس من هذا القصد، وحثاً على أن تكون الهجرة وكل عمل ابتغاء مرضاة الله وتنفيذاً لشريعته.

وهذا الحديث الشريف يؤصل لنا أهمية النية، ومدى تأثيرها على الأعمال قبولاً وإيجاباً، ومدى خطورتها واستحقاق المثوبة عليها.

فإذا تصدق شخصان بصدقة، وكان أحدهما قد انتواها خالصة لوجه الله أثابه الله عليها، وكان الآخر قد تظاهر بها رياءً وطلباً لثناء الناس عليه، انقلبت عليه وزراً.

وإذا أطال شخصان الصلاة وأكثرها منها، فإنما يقبل الله صلاة من أحسن النية وأخلصها ابتغاء مرضاته ويثيبه عليها، أما الآخر الذي صلى رياءً وطلباً لثقة الناس، فقد انقلبت صلاته وزراً وكان حصادها إثماً.



## الدعوة إلى الله

فمن فقه هذا الحديث الشريف: إن الله لا يتقبل من الإنسان أي عمل بدون نية خالصة لأن النية في الإسلام شرط لا يقبل الله العمل إلا بها.

هذه الصلاة يدخلها المسلم بالنية، ومستحضراً بها قلبه، مسلماً بها وجهه لربه، متفرغاً عن كل شاغل، متجرداً من كل غرض إلا السجود والطاعة لله الذي خلق الإنسان فسواه فعدله في أي صورة ما شاء ركه.

ومن فقه الحديث: أن الإسلام يهتم بالجواهر قصداً إلى تنقية القلوب من الغلّ والحدّ، إذ متى انعقدت النية على العمل عبادة لله وحده كان الأداء طيباً مثمراً قلباً وقالباً، ويؤيد هذا الحديث الشريف الذي قال به رسول الله - ﷺ -: «إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم وأعمالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم»<sup>(١)</sup>.

ولقد حذر رسول الله - ﷺ - من انصراف النية في الأعمال إلى غير الله، لما في ذلك من أخطار ومساوئ، فقال - ﷺ -: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء، يقول الله يوم القيامة، إذا جازى العباد بأعمالهم، اذهبوا إلى الذين كنتم تراعون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء»<sup>(٢)</sup>.

وفي إخلاص العمل لله - سبحانه - أيّاً كان نوعه، فوائد جمة أهمها:

١- أنها تحث المسلم على عمل الخير وإتقانه والإخلاص فيه، إذ متى انصرفت النية للعمل لله وحده، فقد راقبه العامل، وجعل الله أمامه في أي عمل أسند إليه، وأي مكان وجد فيه فراقب به فأتقن عمله فاستفاد وأفاد مجتمعه.

(١) حديث متفق عليه.

(٢) حديث متفق عليه.

## أهمية النية في الإسلام

وهذا هو الإحسان الذي عرفه الرسول - ﷺ - في قوله: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»<sup>(١)</sup>

٢- إن النية ومراقبة الله تبعد عن فعل الشر والاقتراب منه، لأن العامل يراقب ربه ويخافه، ويعلم أنه مطلع عليه وعلى أفعاله.

٣- إن النية تجعل العمل من المسلم هدفاً ومقصداً، وبذلك تكون حافزاً له على فعل الخيرات مرضاةً لربه وقضاءً لحوائجه وخدمةً لمجتمعه.

٤- النية تنقي صدر المسلم من الحقد والحسد وسوء الظن وبها تصلح القلوب وتسلم النفوس، وتحجم الأعضاء عن الأذى والسوء والآثام، ذلك فقه قول الرسول - ﷺ - الذي رواه أحمد بسنده: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»<sup>(٢)</sup>.  
وصدق الله في قوله - تعالى -:

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾<sup>(٣)</sup>

(١) من حديث طويل متفق عليه.

(٢) من حديث طويل متفق عليه.

(٣) الآية ٥ من سورة البينة.





## نظرة الإسلام إلى المال والعمل

الإسلام هو: الدين الوسط الذي واءم في تشريعه بين احتياجات بني الإنسان في هذه الحياة.

وقد أقامت شريعة الإسلام نظاماً مالياً متوازناً لتحقيق هدف إعمار الأرض وإسعاد البشر. وفتح الإسلام أبواب الرزق الطيب وحث عليه وأتاح الفرص لتنمية ثروة الأفراد. وحرص الإسلام على تهيئة المناخ الصالح الخالي من الفساد، كي تنمو شجرة المال الإسلامي مباركة مثمرة طيبة.

ومن هنا كان اهتمام الإسلام بطرق كسب المال، باعتباره قوام الحياة للفرد والمجتمع، ولذلك حث على العمل والكسب، ففي سورة الجمعة قول الله - سبحانه -:

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١)

وفي سورة الأعراف قول الله - سبحانه -:

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (٢)

وجاء في الأثر:

«الدنيا خضرة حلوة، من اكتسب فيها مالاً من حله وأنفقه في حقه، أثابه الله وأورده جنته، ومن اكتسب فيها مالاً من غير حله، وأنفقه في غير حقه أحله الله دار الهوان».

(١) الآية ١٠ من سورة الجمعة.

(٢) الآية ١٠ من سورة الأعراف.

## الدعوة إلى الله

وفي القرآن الكريم، في سورة البقرة قول الله - سبحانه -:

﴿يَنَاقُهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِى الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (١)

وفي السنة الشريفة قول الرسول - ﷺ -: «أَيُّمَا عَبْدٍ نَبَتَ لَحْمَهُ مِنْ سَحْتِ فَالنَّارِ أَوْلَى بِهِ» (٢).

ولقد اعتبر الإسلام الساعي على رزقه، كأنما يسعى في سبيل الله، فقد جاء في الحديث الشريف: «... وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يَعْفَهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

والعمل أصله حلال، والحرمة أمر طارئ عليه، ولهذا لم يحرم الإسلام من وسائل الكسب إلا ما كان به ظلم أو بخرس أو غبن أو استغلال أو اتجار في المحرمات أو فيما يضر الناس أو يؤدي إلى تكديس الأموال وعدم استثمارها، وهذا ما أشار إليه قول الله - سبحانه - في سورة التوبة:

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣)

(١) الآية ١٦٨ من سورة البقرة.

(٢) رواه الطبراني.

(٣) من الآية ٣٤ من سورة التوبة.

## نظرة الإسلام إلى المال والعمل

إذ إن أحد وجوه الاكتناز حبسها عن التداول والتدوير في أنواع الكسب المباح من تجارة وزراعة وصناعة، واستغلالها كذلك في القروض الربوية المحرمة، لأن في هذا حبساً لتلك الأموال عن النفع العام. ومن ثم، فإن من صور الكسب الحرام: استغلال المال بالإقراض المحرم، أي بالفوائد.

ومن صورهِ: التجارة في المحرمات وصناعتها، كالخمور والمخدرات، وفاسد الأطعمة والأشربة والميتة والأصنام.

ومن صور الكسب الحرام: خلط السلع أو إخفاء عيوبها، إذ إن هذا محرم، وقد حكم رسول الله - ﷺ - بأن: «من غش المسلمين فليس منهم».

أو التدليس ومنه بيع النجش - أي المزادات غير المنتظمة - والتي يتدخل فيها بعض الناس لرفع الأسعار قصد الإضرار أو بيع الشيء بأكثر من قيمته الفعلية.

ومن المحرمات في العمل استغلال الأجير وانتقاص حقوقه، وبخس الناس أشياءهم، واحتكار الأطعمة وما يحتاجه الناس ويشع في الأسواق استغلالاً للحاجة؛ وفي مثل هذا جاء الحديث الشريف الذي رواه أبو هريرة - رضي الله عنه -: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه خصمته: رجل أعطي بي ثم غدر ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يوفه»<sup>(١)</sup>.

ويقول الله - سبحانه - في مثل هذا:

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

(١) جامع الأحاديث ج ٣ ص ٦٧٩.

(٢) الآية ١٨٣ من سورة الشعراء.

## الدعوة إلى الله

ومع الحث على الكسب الحلال والترغيب في العمل المنتج المثمر المفيد للفرد والمجتمع، وضع الإسلام ضوابط على الإنفاق، وذلك لضمان حسن استثمار المال فيما يخدم مصلحة الأمة، وكى لا يترك الأمر دون ضوابط. وكان مما حرم في الإنفاق: الرشوة وأكل الأموال بالباطل والسفه بالإنفاق فيما لا يقره الشرع والعقل.

ولقد حفلت آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول - ﷺ - بالآيات والوصايا التي تنظم كسب الأموال، وإنفاقها في الأوجه المشروعة، وتحث على الاعتدال. وامتدح القرآن صاحب المال الذي يتقي الله فيه؛ ذلك قول الله - سبحانه - في سورة الليل:

﴿ وَسِجْنُهَا الْأَتَقَى ۝ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۝ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ۝ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ۝ ﴾ (١)

(١) الآيات ١٧: ٢١ من سورة الليل.

## تكريم الله للإنسان وحرمة

### قتل النفس إلا بالحق

هذا الإنسان صنع الله الذي أنقن كل شيء، خلقه فسواه فعدله. وقد امتن على هذا الإنسان بتكريمه إياه حيث جعل له شرفاً وفضلاً، وهو تكريم ينفي النقصان، فقد جعله بشراً سوياً على هذه الهيئة في امتداد القامة وحسن الصورة، مما لا يصح لغيره من المخلوقات الحيوانية، فكان له إرادته وقصده في تدبير شؤونه، وليس كغيره مما يشاركه في الحيوانية يقاد ويساق، ويُستخدم، وخصه الله بالمطاعم المتنوعة والمشارب والملابس، وهذا مالا يتسع فيه حيوان اتساع بني آدم، الذين يكسبون المال لأنفهم خاصة دون سائر الحيوان ويلبسون الثياب، مع أن غاية كل حيوان أن يأكل لحماً نيئاً، ثم إن الإنسان يتناول طعامه بيده. وهو مميز كذلك بالنطق والإفصاح عما يريد بعبارته، وإن اختلفت لغات بني الإنسان، وهو مسلط على سائر المخلوقات ينتفع بها ويسخرها، وكأن عقله هو عمدة التكليف، وبه يعرف الله ويفهم كلامه، ويوصله إلى تصديق رسل الله الذين من أجله ابتعثوا إليه لهدايته، وأنزلت الكتب من عند الخالق سبحانه. وقد مثل الأقدمون شرع الله بالشمس، والعقل للإنسان بالعين، فإذا كانت سليمة وفتحت، فرأت كل شيء، وأدركت تفاصيل كل شيء، ولا يفاضل بين الإنسان وبين غيره من الحيوانات بعظم الجسد أو بقوته؛ فقد جعلت في بعض الحيوان خصالاً غير متوافرة في بني الإنسان كسرعة جري الفرس، حتى اتخذ الإنسان معياراً لتقدير القوة، وضخامة جسد الفيل وقوته، والشجاعة في الأسد؛ وإنما كان التكريم للإنسان وتفضيله على ما سواه بالعقل.



## الدعوة إلى الله

تلك منة جليلة من الله العليّ الأعلى على إنسان هذا الوجود، ساقها الله في القرآن، مذكراً بنعمه على هذا الإنسان ونسله:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (١)

لقد كرم الإسلام الإنسان حياً وميتاً، فهذا رسول الله محمد - ﷺ - ينهى عن كسر عظم الميت بقوله: "كسر عظم الميت ككسره حياً" (٢) وأوجب الإسلام في شريعته دفن الإنسان في باطن الأرض أو في مقبرة، تكريماً وبعداً بجسده عن أن تنهشه السباع والكلاب والطيور.

وحين قتل ابن آدم أخاه فيما مضى من الزمان، كانت هذه أول حادثة قتل وموت في ذرية آدم، كما أنبأ بها القرآن في قول الله سبحانه:

﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٧﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٣)

(١) الآية ٧٠ من سورة الإسراء.

(٢) رواه أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) الآيات من ٢٧ : ٣٠ من سورة المائدة.

## تكريم الله للإنسان وحرمة قتل النفس إلا بالحق

ويعد هذا الجرم الأول من الإنسان لأخيه الإنسان. وكانت حيرته: كيف يتصرف في هذا الجسد الذي أفقده عقله وحركته، وصار عبئاً يحمله كما يحمل إثم جريمته الأبدية؟

﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ ۖ قَالَ يُوزِلُنِي أُعْجِزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوْءَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ (١)

ثم كان شرع الجزاء:

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٢)

وبهذا القضاء من الله كان قتل النفس الإنسانية عمداً بغير حق، جريمة منكورة لا يقرها شرع، ولا يتقبلها وضع، ولا يستسيغها مجتمع. وكانت غاية شرائع الله - خالق الناس وهذا الكون - المحافظة على حياة بني الإنسان وصون حياتهم، فلا تُهدر دماء إنسان، أي إنسان، إلا إذا قتل إنساناً عمداً، وكان مفسداً في الأرض. وجاءت شريعة الإسلام - خاتمة الشرائع - مقررة القصاص من القاتل عمداً بغير حق أو فساد في الأرض في قوله سبحانه:

(١) الآية ٣١ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٣٢ من سورة المائدة.

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١)

هذه القاعدة شددت في التنفيذ من قتل الإنسان بغير حق التنفير منها، والتذكير عليها، وبينت أحكامها الدنيوية، وفي الآخرة تحذيراً للنفوس من ارتكابها صيانةً للأرواح، وقطعاً لعوامل الشروع، وعملاً على استقرار الأمن في المجتمع، لكل ممكن من الوسائل.

وتأيدت هذه القاعدة بآيات كثيرة في القرآن، منها:

﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (٢)

وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما: "أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء".

ولقد شرع الله القصاص من القاتل عمداً بغير حق - عقوبة في الدنيا حقاً لدماء الناس وكفاً للعدوان على الأرواح، ودفعاً للأحقاد من النفوس.

وقد اتفق على أن القصاص في القتل العمد لا يقيمه إلا أولوا الأمر الذين فرض عليهم النهوض بالقصاص وإقامة الحدود، وغير هذا من العقوبات حتى تنقطع الخصومة. فليس لولي القتل أن يقتاد لقتله بنفسه أو قبل الحكم باستحقاق القصاص من السلطان، أو من أنابه في القضاء أو التنفيذ، إذ السلطان قائم مقام الأمة والمجتمع على ما يفيد الخطاب في الآية ١٧٩ من سورة البقرة حيث خاطبت

(١) الآية ١٧٩ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٩٣ من سورة البقرة.

تكریم الله للإنسان وحرمة قتل النفس إلا بالحق

جميع المؤمنین بالقصاص، ولا يتأتى أن يقوم كل المؤمنین بالقصاص، فأقاموا السلطان مقام أنفسهم في إقامته القصاص، وغيره من الحدود بشروطها، بل وغير هذا من التعازیر.

وتخريجاً على هذا، فلا يحل لأحد أن يقتص من قاتل أو يأخذ حقاً يدعيه لدى آخر إلا بمعرفة السلطان بنفسه أو من ينوبه، لأن الله هو الذي شرع إقامة السلطان ليقبض أيدي الناس بعضهم عن بعض.

أما سلطان أولياء القتل، فهو حق طلب القصاص من السلطان فحسب أو العفو عنه.

وسيظل قول الله العدل هداية للبشرية:

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَنَازِلُ آلَ آدَمَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١)

(١) الآية ١٧٩ من سورة البقرة.



## المسلم كيف يكون مع خالقه ومع مجتمعه؟

لقد ساق إلينا الذكر الحكيم كتاب رب العالمين قول الله - جل شأنه:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ بِنَائِتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ ﴾<sup>(١)</sup>

والإسلام يعني أن يسلم الإنسان نفسه ووجهه وقلبه لخالقه جل علاه، فيراه الله حيث أمره ولا يراه حيث نهاه.

ومن هنا، كان على المسلم - في إطار ذلك - أن يتقي الله ويرعاه، ويدرك أن عبوديته الصادقة لله هي مصدر شرفه وفضله وعزته، لأنها عبودية ترقى به عن أن يكون عبداً لماله: قال رسول الله (ﷺ): "تعس عبد الدينار وعبد الدرهم"<sup>(٢)</sup>، أو أن يكون عبداً لهواه؛ قال تعالى:

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾<sup>(٣)</sup>

أو أن يكون عبداً لشیطانه:

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝ ﴾<sup>(٤)</sup>

(١) الآية ١٩ من سورة آل عمران.

(٢) عن أبي هريرة رضى الله عنه، صحيح البخاري ج ٦ ص ٦٧.

(٣) الآية ٢٣ من سورة الجاثية.

(٤) الآية ٦٠ من سورة يس.

## الدعوة إلى الله

أو أن يكون عبداً لأي شيء سوى الله:

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ﴾<sup>(١)</sup>

وبهذه العبودية الخالصة المخلصة، تقوى صلة الإنسان بربه ويكون أهلاً لرضاه وحبّه، آمناً من مؤاخذته وغضبه، فما أقل حياة من يطمع في فضل الله بغير عمل، وإن كان لا حرج على فضل الله.

ولا شك أن تلك العبودية الصادقة تنعكس على علاقة الإنسان بمجتمعه لأنه يأخذ نفسه بما أمر به دينه، والمسلم كما وصفه رسول الله - ﷺ -: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده".<sup>(٢)</sup> "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً".<sup>(٣)</sup> وقال أيضاً: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".<sup>(٤)</sup>، إلى غير ذلك مما يجب أن يكون عليه المسلم في علاقته بالآخرين حتى في ظل التكاليف الشرعية.

وما تعبد الله به عباده من فرائض وطاقات، نراها تثمر خير الإنسان وخير المجتمع، ألم تر إلى الصلاة مثلاً كفريضة من أهم الفرائض، بل هي عماد الدين، يحدثنا عنها القرآن الكريم قائلاً:

(١) سورة الإخلاص.

(٢) رواه الترمذي والنسائي عن أبي هريرة، مجمع الفوائد ج ١ ص ٢٠.

(٣) رواه الشيخان عن أبي موسى الأشعري.

(٤) رواه الشيخان عن النعمان بن بشير.



المسلم كيف يكون مع خالقه ومع مجتمعه؟

﴿ أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۚ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (١)

وهذا يعني أن الصلاة إذا أُديت كما ينبغي أن تكون من خشوع في أدائها، ومحافظة على أوقاتها تبني مجتمعاً ملائكي السلوك، مُطهراً من الفحشاء والمنكر، لا يبغى فيه إنسان على مخلوق طاعة للخالق، وطلباً لثوابه ورهبة من عقابه، ولا يضمّر أحد لأحد شراً، وإنما يتعايش الجميع في ظل التعاون والتراحم والتكاتف والتلاحم على تقوى من الله ورضوان. وليست الصلاة وحدها هي التي تحقق ذلك، وإنما سائر العبادات تبني المسلم الصالح الذي به يتكون المجتمع الصالح، والذي جاء الإسلام يؤسسه ويبنيه ويشيده ويعليه. فالمؤمن للمؤمن فيه كالبنيان يشد بعضه بعضاً، أو كالجسد الواحد إذا اشتكى بعضه اشتكى كله، وبهذا يتحقق وصف الأخوة الذي أسبغه الله على مجتمع الإسلام عندما قال في كتابه الكريم:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢)

وصارت هذه الإخوة نسبهم، وحلقة الوصل فيما بينهم. في ظلها يتشاورون في شتى حوائجهم، ويتسابقون إلى خيرهم، يؤثر كل منهم أخاه ولو كان به خصاصة، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، ممثلين أمر الله في القرآن:

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِجَاكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ

الصَّابِرِينَ ﴾ (٣)

(١) الآية ٤٥ من سورة العنكبوت.

(٢) الآية ١٠ من سورة الحجرات.

(٣) الآية ٤٦ من سورة الأنفال.

الدعوة إلى الله

وقوله سبحانه:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝﴾<sup>(١)</sup>

(١) من الآية ٢ من سورة المائدة.

## من اجتماعيات الإسلام حق الطريق (١)

تتفاوت الروابط التي تكون العلائق بين أفراد المجتمع. فقد تكون هذه الروابط مادية، نفعية ومصلحية، أي أنها تقوم على عنصر مادي هو: تبادل المنافع والمصالح فحسب. وهو بهذا مجتمع مادي!!

وقد تكون العلاقة بين الأفراد إنسانية، بمعنى: أنها تقوم على المودة والتعاون، كمعان وراء تبادل المصالح والمنافع، دون أن تكون هذه الأخيرة هي الهدف والمقصد، فهذا مجتمع إنساني.

وجاء الإسلام بتكوين المجتمع الإنساني الإسلامي، فدعا إلى تمكين الروابط الإنسانية بين الأفراد، كما دعا إلى تبادل المنافع والمصالح المادية باعتبارها حاجات للإنسان، ولكن في محيط العلاقات الإنسانية.

ومن هنا، جاءت دعوة الإسلام إلى تكوين اجتماعيات تتناسق مع أهداف المجتمع الإنساني الإسلامي، تقوى بها روابطه، وتنمو بها صلاحياته للتقدم والرقى؛ فكان قول الله - تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝﴾<sup>(١)</sup>

(١) من الآية ٢ من سورة المائدة.

## الدعوة إلى الله

كان هذا القول الكريم قاعدة عامة لتكوين نسيج المجتمع الإسلامي على أفضل ما تقوم عليه المجتمعات؛ أمر بالبر والتقوى، ونهى عن الإثم والعدوان، أمر جماعي إلى كافة أفراد المجتمع، ونهى جماعي كذلك.

وهكذا كان منهج الإسلام في القرآن وفي سنة رسول الله - ﷺ - إلغاء الظواهر المادية الصرفة، كعلاقة في المجتمع، وغرس البديل لها من العلاقات الإنسانية المثمرة خيراً وبراً وبركةً لبني الإنسان.

فقد هذبت نصوص القرآن والسنة النبوية الأعراف والعادات المنحرفة عن الصراط المستقيم، المنافية للذوق الرفيع والتوجيه وعدلتها إلى ما هو خير وأجدى. فعن أبي سعيد - رضي الله عنه - أن رسول الله (ﷺ) قال: "إياكم والجلوس على الطرقات." قالوا: يا رسول الله: ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها. فقال رسول الله - ﷺ -: "إن أبيتم فأعطوا الطريق حقه." قالوا: "وما حق الطريق يا رسول الله؟" قال: "غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر."<sup>(١)</sup>

ففي هذا الحديث الشريف تهذيب لعادة جارية بين الناس، منذ أن كانت المجتمعات، وهي التنادي إلى مكان عام يلتقون فيه وتدور أحاديثهم، وقد تكون هازلة جارحة ماجنة، تصوب البصر إلى الرائحين والغادين رجالاً ونساء، يتتبع الجالسون في الطرقات أو الواقفون على نواصي الشوارع كل السائرين يتفحصون قسمااتهم وثيابهم، يمسحونهم بأبصارهم طويلاً وعرضاً في تعليق ساخر.

(١) رواه البخاري ومسلم، وأحمد في مسنده.

## من اجتماعيات الإسلام حق الطريق (١)

فجاء هذا القول السديد من صاحب الخلق العظيم رسول الله - ﷺ - موجهاً مهذباً بعد إذ لمس حاجتهم إلى جلوس الناس حيث اعتادوا على الطرقات، قال: "فأعطوا الطريق حقه." ولما استفسروا عن حق الطريق، قال: "غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر." وبهذا وجه الرسول - ﷺ - أولئك الذين اعتادوا الجلوس على الطرقات أن يغيضوا أبصارهم عن انتهاك حرمة السائرين في الطرقات، متتبعين حركات أجسادهم، متفقدين ثيابهم، يستنطقونها ما حوت وسترت، فيخجل أولئك رجالاً كانوا أو نساء، وقد تتعثر خطاهم من فرط الخجل، ويقعون في حيرة وقلق عن دواعي هذه الملاحظة بالنظر إليهم.

وغض البصر هذا مأمور به في القرآن الكريم صراحة في سورة النور، التي تحوي الكثير الوفير من اجتماعيات الإسلام، قصداً إلى إقامة مجتمع إنساني إسلامي. ففي هذه السورة:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٢٠﴾ (١)

﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۚ﴾ (٢)

(١) الآية ٢٠ من سورة النور.

(٢) الآية ٣١ من سورة النور.

## الدعوة إلى الله

ومن حق الطريق «كف الأذى»، فقد يتعرض الجلوس على الطرقات لإيذاء المارين بسوء القول وزوره، أو بفعل يلحق الأذى بأجسادهم ونفوسهم وأموالهم، وفي هذا عدوان على الناس وتعرضهم للمهانة، ولقد حذر القرآن الكريم من إيذاء الناس بغير حق، فقال الله - تعالى - في سورة الأحزاب:

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا  
بُهْتَنَا وَإِنَّمَا صِينَا ۖ ﴾ (١)

ومن حق الطريق «رد السلام»:

ذلك لأن من سنن الإسلام تحية المسلم للمسلم بالعبارة الماثورة في السنة: «السلام عليكم ورحمة الله» لأن إفشاء السلام - أي تبادل هذه العبارة - يدل على اجتماع الكلمة والمودة والمحبة بين المسلمين، وهو عام، أي لا يختص إفشاء السلام بالمتعارفين فحسب، وإنما من سنن الإسلام إفشاء السلام بين كل من عرفت ومن لم تعرف، كما جاء في حديث الرسول - ﷺ - الذي رواه الشيخان وغيرهما، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رجلاً سأل النبي ﷺ: «أيُّ الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف».

وردُّ السلام - أي الرد على من يسلم عليك - هو: رد على التحية التي أهديت لك من آخر أو آخرين، وهذا الرد واجب حتم بأمر الله - سبحانه - في قوله في سورة النساء:

(١) الآية ٥٨ من سورة الأحزاب.



## من اجتماعيات الإسلام حق الطريق (١)

﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۝٨٦﴾ (١)

وهذا أدب اجتماعي كريم تنمو به العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات، وإقشاء السلام من خير الأقوال البارة بالودودة، ينبغي أن نحرص على هذه الصيغة التي تلقيناها عن الإسلام، نتبادلها ونعلمها أولادنا ونساءنا، إنها عنوان على أن السلام له في الإسلام مكان كبير، إنها عبارة تضيفي على نفس من ألقاها ومن ألقيت إليه الأمن النفسي، والأمان على كافة الماديات الجسد والمال.

«والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، أي النصح بسلوك طريق الخير، وتجنب الشرور والآثام، إن كان لذلك محل موجب، وإذا كان الأمر من أهل المعرفة بحكم ما يأمر به أو ينهى عنه حكماً صحيحاً في شرع الله - الإسلام - وهذا الحديث الشريف يسري حكمه ليس على الجالسين على الطرقات فحسب، سواء أكانوا في مجالس خاصة أمام المحلات التجارية والصناعية وأمثالها أم المقاهي التي تخالط الطرق وتضايقها، وإنما يمتد هذا التوجيه النبوي إلى كل جماعة تلتقي في مكان عام يغشاه الناس سائرين أو في قضاء حوائجهم، كالنوادي الاجتماعية والرياضية التي ألفها الناس في عصرنا؛ فلنحفظ للطريق حقه، أي للسائرين في الطريق رجالاً ونساءً حقوقهم، فلا نشغل الطرقات ونزحمها بالجلوس والوقوف، كما يفعل الشبان اليوم، ونؤذي المارين باضطرابهم للسير في نهر الطريق، الأمر الذي يعرضهم للأخطار، وبهذا نحفظ للمجتمع الإنساني الإسلامي سمته المميزة: «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»<sup>(١)</sup>.

وبالله التوفيق

(١) الآية ٨٦ من سورة النساء.





## من اجتماعيات الإسلام حق الطريق (٢)

والحفاظ على هذه الطرق العامة عبء عام كذلك على كل الناس، وفي مقدمتهم السلطات المسؤولة عن صيانتها، وتيسيرها وتنظيمها وتنظيفها وترتيب السير فيها، صيانة للأنفس والأموال.

وهذه الأعباء، وإن تولتها في عصرنا سلطات مسؤولة عنها وظيفياً من حيث إصلاحها ونظافتها وترتيب السير فيها، لكن الإسلام في آدابه واجتماعياته أناط بكل فرد هذا العبء.

ففي الحديث الذي رواه الشيخان وغيرهما، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «الإيمان بضع وستون - أو بضع وسبعون - شعبة، أدناها إمطة الأذى عن الطريق وأرفعها قول: لا إله إلا الله».

وإمطة الأذى عن الطريق: أي إزالته، والمراد بالأذى كل ما يؤذي المار، كالحجر والشوك والعظم والزجاج والنجاسات، وكافة العوائق التي تعوق السير في الطريق وتؤذي السائرين، سواء أكانوا راجلين أم راكبين، وأرفعها: أي أعلاها قدراً ومنزلة عند الله تعالى.

وإذا كان لفظ هذا الحديث الشريف قد أمرنا بإزالة الأذى من الطرقات؛ فإنه يكون - بالتالي - قد نهى عن إلقاء الأذى في طرقات الناس وشوارعهم، ومن ثم فإنه يحرم أن تلقى المخلفات في الطريق، سواء أكانت مخلفات أطعمة أم أتربة أم حجارة أم زجاج أم خشب، ومقتضى هذا أن على الناس الحفاظ على نظافة ونظام الشوارع.

## الدعوة إلى الله

وهذا ما يقتضيه الذوق العام، وهو عنوان على الحضارة والرقى، وها نحن نرى أن الإسلام قد تَغَيَّرَ في تعاليمه الوصول إلى رقى الذوق وتجميل كل ما حمل الإنسان في بيئته: المنزل، والمسجد، والشارع..... إلخ.

وقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين»، وفي رواية أخرى: «مر رجل بغصن شجرة على ظهر الطريق، فقال: والله لأنحين هذا عن طريق المسلمين، لا يؤذيهم، فأدخل الجنة»، وفي رواية لأبي داود: «نزع رجل لم يعمل خيراً قط غصن شوك عن الطريق، إِمَّا قَالَ: كان في شجرة فقطعه، وإِمَّا كَانَ مَوْضِعاً فَأَمَاطَهُ عَنِ الطَّرِيقِ، فَشَكَرَ اللَّهُ ذَلِكَ لَهُ، فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ».

ومن جملة الأحاديث النبوية الواردة في آداب الطرقات والحفاظ على نظامها ونظافتها نستنبط فوائد منها:

إن هذا العمل يدل على الإيمان الخالص لله تعالى باعتباره من شعب الإيمان وأنه يكسب حسنة ويثبت صدقة، وهو طريق إلى دخول الجنة وإلى النجاة من عذاب النار، ويجلب رضا الله تعالى، كما في الحديث الشريف السالف «فشكر الله ذلك له».

وإنه لمن حق الطريق في عصرنا - وقد تكاثرت السيارات وتنوعت وتزاحمت وتعددت مهامها - أن نطيع القوانين واللوائح التي وضعت لتنظيم السير والوقوف (قوانين ولوائح وتعليمات المرور) باعتبار أن في اتباعها إزالة الأذى من الطرقات، فلا تقع حوادث التصادم بين السيارات نتيجة السرعة غير العاقلة والتسابق، وسير المشاة في نهر الطريق، واختراق الإشارات المرورية، وشغل الأرصفة المخصصة

## من اجتماعات الإسلام حق الطريق (٢)

للمشاة بوضع السيارات والبضائع عليها أو الجلوس فيها، كل هذا وغيره من أذى الطريق الذي أمر الرسول - ﷺ - بإزالته وجعله شعبة من شعب الإيمان.

والحرص على نظافة الشارع ونظامه، وتقنين أحكام له تطبق على المخالفين، من المأمور به في الإسلام، وهو أمر موجه إلى الكافة، ومرخص بالعقاب عند مخالفته؛ فإن الله - سبحانه - قد أثاب وشكر ذلك الذي أزال غصن شوك من طريق المسلمين وأدخله الجنة، فمن وضع الأذى في الطريق أياً كان نوعه كان قد ارتكب وزراً وسيئة.

وإن حرص الإسلام في تشريعه على تنظيم وتنظيف الطرقات وحمايتها من كافة العوائق ومما يضر بالمارين ويعوق حركة السير، من باب الوقاية، ودرء المفاسد، التي تترتب على شغل الطرقات.

وإن علينا أن نحفظ للطريق حقه من النظام والنظافة؛ فهذا وجه ظاهر ومشرق للإسلام، تبدو آثاره حضارة بارزة تتحدث عن أثره وتأثيره في أتباعه المسلمين، وفي الناس أجمعين.

وفي حفظ حق الطرق تزيين له، إذ يظل نظيفاً منظماً، وتلك زينة وتنعم نبتغية في شوارعنا، كما نحرص عليه في مساكننا، ولقد امتن الله علينا منة ونعمة تدعونا لأن نجمل كل ما حولنا مما يدخل في طاقتنا على هذه الأرض.

فنرى القرآن الكريم يقول في سورة الصافات:

﴿ إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ (١) ﴾

(١) الآية ٦ من سورة الصافات.

## الدعوة إلى الله

وفي سورة فصلت:

﴿ فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ  
الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝١٢﴾<sup>(١)</sup>

وفي الحجر:

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ۝١٦﴾<sup>(٢)</sup>

وفي سورة الأعراف:

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ۖ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا  
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣٢﴾<sup>(٣)</sup>

وقبل هذه الآية في سورة الأعراف، الأمر بأخذ الزينة عند كل مسجد، فهذا يقتضي هذا أن نعمل على إعطاء الطرق حقها من النظام والنظافة والزينة، التي أمرنا الله بها في ذاتنا وفي مساجدنا، والتي أنعم بها علينا في تزيين السماء، فقال: (وزيناها للناظرين).

ألا: فلنحفظ للطريق حقه؛ فلا نتسابق بالسيارات، ولا نتزاحم معها، أو تزاحمنا، ونصون الطريق عن الصخب والضجيج، وإطلاق أبواق السيارات وغيرها من الأدوات التي تقلق الناس في الشوارع وفي البيوت، وتؤثر في مسامعهم ونفسياتهم، كل هذا يجمعه قول الرسول ﷺ: «الإيمان بضع وستون - أو بضع وسبعون - شعبة أدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها: قول لا إله إلا الله»، وبالله التوفيق

(١) الآية ١٢ من سورة فصلت.

(٢) الآية ١٦ من سورة الحجر.

(٣) الآية ٣٢ من سورة الأعراف.

## من اجتماعيات الإسلام حق الطريق (٣)

لا يزال الحديث متصلاً عن حق الطريق، وملتقى مع حديث رسول الله - ﷺ - الذي رواه مسلم وأبو داود وغيرهما، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «اتقوا اللاعنين»، قالوا: وما اللاعنان يا رسول الله؟ قال: «الذي يتخلى في طريق الناس، أو في ظلهم».

وروى أبو داود وابن ماجه عن معاذ بن جبل، أن رسول الله - ﷺ - قال: «اتقوا الملاعن الثلاثة: البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل».

واللاعن في هذين الحديثين يراد به الأمر الجالب لللعن، والملاعن يراد بها: المواضع التي تدعو الغير لللعن صاحبها، والتخلي يعني التبرز.

هذان الحديثان قد جمعا الكثير من آداب المجتمع، وأرشدا إلى سبيل الوقاية من الأمراض، فضلاً عن الحفاظ على نظافة الطريق وموقع الظل وموارد الماء، وصونها جميعاً من التلوث بالقاذورات والنجاسات، مما يؤذي الناس في أجسادهم وأذواقهم.

ذلك لأن التبرز في الطريق العام، أو في الظل الذي يأوي إليه الناس، أو في موارد المياه (الأنهار والترع والآبار) يهدر كرامة الفرد، ويحط من شأن مجتمعه، ومظهر من المظاهر السيئة، التي تدل على تأخر المجتمع، ومن يفعل هذا إنما يبرز أسوأ ما فيه للناس، وتحت أبصارهم فاستدعى بذلك لعنهم إياه، أي الدعاء عليه باللعنة، وهو ظالم وهم مظلومون ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب.

ثم إن الناس يسلكون الطرق في غدوهم ورواحهم، ويتقيئون الظل مقيلاً وموئلاً؛ فكيف يستبيح إنسان أن يلوث الطريق والظل الذي يحتاجه المجتمع، ويترك



## الدعوة إلى الله

لهم فضلاته برائحتها الكريهة، ومظهرها الذي تتأذى به الأبصار والبصائر وتتوافد عليها الحشرات والهوام، لاسيما الذباب الذي تستهويه هذه القاذورات، يوزعها على كل مكان يهبط إليه، من إنسان أو طعام أو شراب؟! والذباب منذ خلقه الله بسلوكه وعاداته وتلونه ونشأته في مواقع الأقدار، أداة خطر على الإنسان، وهي كما قيل (كلما ذُبَّ أب)، أي أنها كلما طوردت رجعت إلى حيث طُردت.

فكيف يترخص إنسان أن يكون فعله هذا مصدراً لتلويث الطرق وموارد المياه وتحت الأشجار التي يستظل بها السائرون، فينتقل إليهم هذا التلوث في أجسادهم أو ملابسهم، وينجس الموقع والمورد، وما عبرت عنه الأحاديث الشريفة قد ترجمه العلم إلى آفات وميكروبات مسببة لأمراض عاتية.

ذلك لأن هذه الأحاديث استوجبت اللعن أي الطرد من رحمة الله، وهذا هدي نبوي شريف يحثنا على ألا نلوث الطرق بالفضلات الآدمية، وكذلك الظل وموارد الماء ويؤكد هذا الاتجاه ما رواه مسلم وغيره أن النبي ﷺ: «نهى أن يبال في الماء الراكد».

وما رواه الطبراني - في الأوسط - بإسناد جيد، أن النبي ﷺ: «نهى أن يبال في الماء الجاري».

إذ هذان الحديثان الشريفان يدلان بجلاء على خطر التبول في المياه، سواء الراكدة منها والجارية، وهو ما كشف العلم ضرره وتسببه في الإصابة بمرض البلهارسيا بأنواعها، وبذلك تفسد هذه المياه، فلا تصلح للاستعمال في الشرب والوضوء والاستحمام، أو غسل الخضروات والملابس، وتصبح المياه بالتبول فيها مجلبة للأمراض المتنوعة التي تنشأ عن تلوث موارد المياه، وبذلك ندرك حرص الإسلام في تشريعه على الوقاية والحفاظ على صحة الأبدان حرصه على صحة الدين.



### من اجتماعيات الإسلام حق الطريق (٣)

ومن باب هذه الوقاية - التي اشتقت منها الكلمة السائرة: «الوقاية خير من العلاج» - كانت تعاليم رسول الله - ﷺ - ووصاياه في مقدمة القواعد الصحية التي يتغياها الناس الذين بلغوا شأواً في الحضارة، والتي علينا أن نأخذها بها، لأنها من الإسلام.

روى البيهقي وغيره، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه، أن رسول الله - ﷺ - قال: «من أحب أن يكثر الله خير بيته فليتوضأ إذا حضر غذاؤه وإذا رفع». قال الحافظ المنذري: المراد بالوضوء غسل اليدين، وهو الفعل المقصود تحقيقه من الوضوء في هذا المقام.

وروى أبوداود والترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه: «من نام وفي يده غمر ولم يغسله فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه» والمقصود من كلمة الغمر، في الحديث هو الأثر والرائحة من أثر اللحم والطعام، وهذا تأكيد لضرورة غسل اليدين بعد تناول الطعام وتنظيف الفم.

ومن أمثلة «الوقاية خير من العلاج» في تشريع الإسلام قول رسول الله - ﷺ -: «غطوا الإناء، وأوكوا السقاء، فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء، لا يمر بإناء لم يغط ولا سقاء لم يوك، إلا وقع فيه من ذلك الوباء».

هذه مثل من أقوال رسول رسول الله - ﷺ - توصي بضرورة اتباع طرق الوقاية من التلوث والتحوط من مسببات الأمراض، فتحث على غسل اليدين قبل تناول الطعام وبعده، وقبل النوم، كما تحث على ضرورة حفظ الأطعمة وغيرها مما يستعمل غذاء أو دواء أو شراباً، في أواني مغلقة ولا تترك مكشوفة معرضة للتلوث. إنه لحق إن من قواعد الإسلام الثابتة [لا ضرر ولا ضرار]، ومن ثم كان حقاً على الأمة أن ترعى الله فيما أمر به، وأن تترك ما نهى الله ورسوله عنه، منعاً

## الدعوة إلى الله

للضرر بالنفس وبالغير، وحفاظاً على الأنفس والأموال، ونشراً للحضارة والنضارة، وحتى لا تتعرض للأوبئة والخساسة.

وهذا هو أمر الله - سبحانه - في سورة البقرة، بالابتعاد عن مواطن الهلاك ومسبباته:

﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١)

وفي سورة النساء:

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (٢)

(١) الآية ١٩٥ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٢٩ من سورة النساء.

## من وسائل بناء الشخصية في الإسلام

روى البخاري بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما قال: لعن رسول الله - ﷺ - المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال.

إن الإسلام قد كرم الإنسان بالعقل، وفاضل بين الرجل والمرأة في التكوين الجسدي فاختص كلا منهما بميزات، وعلامات يعرف بها ويوصف.

ولقد كان المجتمع الإسلامي السليم حفيظاً على أن تظل للرجل خصائصه وصفاته ومهامه، وأن تحتفظ المرأة بما خصها الله من صفات ومهام وخصائص، حتى يظل هذا المجتمع قوياً متماسكاً، يعرف كل من الرجل والمرأة موقعه فيه دون أن تزول الفروق بينهما في المظهر والمخبر.

ومن هنا كان هذا الوعيد باللعن والطرده من رحمة الله وعونه ورضوانه للرجال المتشبهين بالنساء، وللمتشبهات من النساء بالرجال.

بل إن في بعض روايات هذا الحديث: «لعن رسول الله - ﷺ - المختلئين من الرجال والمترجلات من النساء»، أي أولئك الرجال الذين يتشبهون بالنساء في كلماتهن وحركاتهن وملابسهن، وهؤلاء اللاتي يتخلين عن خلق الله إلى التظاهر بمظاهر الرجال في كلامهم وحركاتهم ولباسهم.

وفي هذا الحديث الشريف دعوة صريحة إلى ضرورة الحفاظ على الشخصية المسلمة للرجل والمرأة على حد سواء، فلا يجوز للرجل أن يتزيا بزى اختصت به المرأة، كما أنه ليس لها أن تشارك الرجال بالظهور بمظهرهم في الزي والحركة والكلام.

وليس من الإسلام ما نشاهده الآن على بعض الشباب من وضع السلاسل الذهبية حول العنق مدلاة على صدر مكشوف، ومن ارتداء بعض الفتيات (البنطلون) الضيق المحدد للامح أجسادهن، وارتداء الفتیان والفتيات القمصان المشتركة التي لا يتمايز بها هذا عن هذه.

بل وقد كشفت الفتيات عن سواعدهن متشبهات بالفتيان فأثرن الفتنة بهذا الصنيع، مخالفات بذلك أمر الله في القرآن:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٥٩﴾ (١)

ففي هذه الآية الكريمة احتفاظ للمرأة بزيها الساتر السابع، الذي يحفظ لها كرامتها، ويقيها فضول النظر المحرم، ويضعها في نطاق العفة، فلا يجرؤ أحد أن يؤذيها بنظرة فاجرة، أو بكلمة داعرة، ذلك قول الله:

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۚ﴾ (٢)

إن هذه المشاهد التي نراها اليوم في شوارعنا ومجتمعاتنا، بل وجامعاتنا دخيلة على المجتمعات الإسلامية، وفدت إلينا من قوم غرقوا في العبث بالقيم والفضائل، وتعرّوا عن كل فضل وعفة، وانحرفوا عن جادة الفطرة الإنسانية السوية التي فطر الله الناس عليها وانحرفوا بالحرية إلى الفوضى.

(١) الآية ٥٩ من سورة الأحزاب.

(٢) من الآية ٥٩ من سورة الأحزاب.

## من وسائل بناء الشخصية في الإسلام

وكانت نتائج هذا على الإنسانية في هذا العصر وخيمة، وثمرتها مرة. كانت هذه الأمراض وتلك الأوبئة التي تجتاح الإنسان في جسمه وخلقه، كان هذا التيه الذي يتخبط فيه الشباب اليوم فكراً وخلقاً، دون التزام بالخلق والدين.

إن هذا الحديث الشريف يحذرننا من الانحراف بشخصية الإنسان رجلاً أو امرأة، بل يحثنا على أن تكون هذه الشخصية متوازنة، سوية، متكاملة، لا يطغى فيها جانب على آخر، ولا تذوب أو تنهار، بل تحافظ على مقوماتها، وتحفظ بسماتها، تقاوم الضلالات، وتسوس نفسها بما ساسها به الإسلام، فتعطي للجسم حقه من العناية، دون إخلال بفطرة الله التي فطر الناس عليها:

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ هُم بِعَذَابٍ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>

وللمظهر ما يستوجبه من الرعاية دون أن تنتمي المرأة بزيها إلى غير أنوثتها، أو يتشبه الرجل في زيه بالمرأة، متجاوزاً خلق الله إياه رجلاً سويًا.

إن على المسلم، وعلى المسلمة، بحكم الإسلام معالم لا بد من الاحتفاظ بها، وإن ما يفعله غير المسلمين في أنفسهم لا يصلح لنا ما دام غير متفق مع أحكام دين الله الإسلام.

ذلك ما يبدو واضحاً قاطعاً في الحديث الذي رواه أبو داود بإسناد صحيح، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال:

«لعن رسول الله - ﷺ - الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل».

فلنعد إلى الإسلام، ولنستمع إلى وصاياه، ولنصلح مجتمعنا بأدابه، وليكن كل فرد رقيباً على نفسه، مستجيباً لربه فهو حسبه، وكفى به حسيباً.

(١) الآية ٥ من سورة سبأ.



## إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر

هذه الصلاة، عبادة مفروضة، في ركعات معدودة، وسجرات محدودة، هي في الواقع: بمقدماتها وركوعها وقيامها وتلاوة القرآن فيها، صلة بالله، يخاطب المصلي ربه بآياته، ويذكره في ركوعه بأعظم ذكر - سبحانه ربي العظيم - وفي سجوده، بأعلى فكر - سبحانه ربي الأعلى -، لقد وصف رسول الله - ﷺ - اطمئنانه بالصلاة حين قال:

«وجعلت قرة عيني في الصلاة».

هذه الصلاة: انقطاع لحظات عن حركة الحياة، ووقوف بين يدي الله - سبحانه -، يؤدي المؤمن فيها حق الشكر، وحسن الذكر، يناجي ربه مخلصاً، متطهراً من أدران الحياة، وشوائب الأعمال.

إلى هذا يرشدنا رسول الله - ﷺ - في تشبيهه تقريبي للصلاة: «لو أن بباب أحدكم نهراً يغتسل فيه خمس مرات في اليوم والليلة، أكان يبقى على جسده من درن؟» قالوا: لا.. يا رسول الله، قال: «كذلك الصلاة».

تعالوا نتابع خطواتها - تلك الفريضة المطهرة، الناهية عن الفحشاء والمنكر:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِّنْهُ ۚ مَا



## الدعوة إلى الله

يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَئِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١﴾

بهذا: يعدنا الله - سبحانه - للصلاة، لأنها وقوف بين يديه، ومناجاة له، فلا بد لهذا الموقف - موقف المؤمن مع الله - من أن يكون طاهراً متطهراً:

﴿وَيُتَابِكُ فُطْهَرٌ ﴿٢﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٣﴾﴾ (٢)

فإذا تطهر المسلم مستعداً للصلاة - انجذب إلى خالقه، واشتغل قلبه بذكره، وانصرف عن الدنيا وشواغلها ساعة الصلاة، فكان بينه وبينها حجاب، أقامه بدخوله الصلاة بقوله: «الله أكبر» نعم: الله أكبر من الدنيا لأنه خالقها، وأكبر من الإنسان لأنه - سبحانه - خلق فسوى، وقدر فهدى، فكيف يقف المسلم بين يديه مشغولاً بغيره، منصرفاً بفكره؟

نعم: الله أكبر، فتح بين الله وعبيده، ذكر يسمعه الله، ويثيب عليه، قوة للروح والقلب، وإعلان دائم للإنسان أنه من خلق الله وإلى الله، فلا تستهويه الدنيا بما فيها من رغائب وعجائب، ولا تبطره النعمة فتتسيه المنعم:

﴿كَأَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِيَطْغَى ﴿١﴾ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ﴿٢﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى ﴿٣﴾﴾ (٣)

وبعد هذا الإعداد بالطهارة وحسن الزينة: نقف - بين يدي الله - متفرغين ضارعين في أوقات محدودة، وفرائض معدودة، نقرأ القرآن، ونركع ونسجد،

(١) الآية ٦ من سورة المائدة.

(٢) الأيتان ٤ وه من سورة المدثر.

(٣) الآيات ٨:٦ من سورة العلق.

## إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر

ونسبح الله كثيراً، ونصلي على أنبيائه ورسله، وعلى خاتمهم محمد - صلى الله عليهم جميعاً وسلم - نشهد لله بالوحدانية، ولحمد بالرسالة، نلتمس رضا الله، في صفوف منتظمة تتبع إمامها، تتحرك بحركته، وتنطق بكلماته، تصاحبه تتبعه، ولا تسابقه أو تسبقه.

هكذا نكون خمس مرات مجتمعين، كلنا يرقب الله، ويعتقد أنه:

﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾<sup>(١)</sup>

وأنه:

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾<sup>(٢)</sup>

بهذا: يكون الحضور في الصلاة، وبهذا: تكون الصلاة صالحة مصلحة، ناهية عن الفحشاء والمنكر.

إذ كيف يفكر المسلم في عصيان الله، واقتراف الإثم أو ترك الأمر، وهو قادم من مناجاة ربه مفضياً بين يديه بذات نفسه، وبعد هذا: سيعود إلى نفس الموقف في فريضة أقرب، خمس فرائض تطهر النفس والجسد فما يبقى في واحد منهما من درن. هذه وظيفة الصلاة كما حددها القرآن:

﴿ أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ

الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>

(١) الآية ١٩ من سورة غافر.

(٢) الآية ٨ من سورة طه.

(٣) الآية ٤٥ من العنكبوت.

## الدعوة إلى الله

ذلك لأن الصلاة والذكر يحملان على دوام المراقبة لله، ومحاسبة النفس، ومباعدة الهوى والشيطان، فكل مصل - بحق - يحاسب نفسه في الأقوال والخواطر والأفعال.

هي الصلاة: سبيل الوصول إلى الله، وما الوصول إلى الله إلا استقامة الطريق:

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١)

ومن قوله تعالى:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢)

هي الصلاة: تدعونا للتواضع، فلا تزاحم، ولا تضارب، ولا تخطي للرقاب، والمكان لمن سبق، لا لمن استعلى أو لذوي الجاه، أو لصاحب الأموال.

هي الصلاة، مساواة تامة، فالغني والفقير متجاوران بالقدم والجانب يركعان ويسجدان لإله واحد، ويتلوان قرآنًا واحدًا، أو يسمعانه من إمامهم الواحد، لا يتأذى ذلك من هذا ولا يتعالى عليه.

هي الصلاة: التي فرضها الله على المسلم في كل حال، ففي حالة الإقامة والسفر الصلاة، وفي السلم الصلاة، وفي الحرب الصلاة، وفي الصحة الصلاة، وفي المرض الصلاة قائمًا وقاعدًا، وعلى جنبه، وبالإيمان - يسيرًا من الله وفضلاً وتقريباً لعباد الله من ربهم، يناجونه في عسرهم، كما يناجونه في يسرهم:

(١) الآية ١١٢ من سورة هود.

(٢) الآية ١٠٨ من سورة يوسف.

إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (١)

إنها دعوة الأنبياء:

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ (٢)

ووصية الله إلى الأنبياء:

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (٣)

وهي مسؤولية كل مؤمنة ومؤمن عن نفسه وعن هو مسؤول عنهم:

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ (٤)

نعم: هي الصلاة طريقنا إلى النظافة والنظام، والصف الواحد والكلمة الواحدة، والقبلة الواحدة، والهدف الواحد.

نعم: هي الصلاة: أدعو المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات إلى أدائها طاعةً لله بإقامتها، فبالصلاة تنظم أمورنا كانتظام صفوفنا فيها وتتحد قلوبنا؛ لأنها في الصلاة متوجهة لرب واحد، وقبلة واحدة، نتلو آيات واحدة، نستعين بها عسى الله أن يجمع شمل الأمة ويوحد كلمة قاداتها ويذهب ما في الصدور، فقد

(١) الآية ٤٥ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٤٠ من سورة إبراهيم.

(٣) الآية ٣١ من سورة مريم.

(٤) الآية ٥٥ من سورة مريم.

## الدعوة إلى الله

تخطفتنا الأمم من حولنا، واستهان بنا من كانوا دوننا، فكانت الحروب غير المتكافئة، لا لقلة عدد أو مال، ولكن لتفرق الكلمة وضيا ع الهيبة.

نعم: هي الصلاة.. التي كان يفرع إليها رسول الله - ﷺ - في الكرب والحرب، فلنجتمع في الصلاة، ولنحافظ عليها.

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا ۗ نَحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ۖ ﴾ (١)

ولندع الله أن يؤلف بين قلوب الأمة - شعوباً وحكومات، وملوكاً ورؤساء - عسى الله أن يأتي بالفتح أو بأمر من عنده فتقوى عزائمننا، ويرتد من استهانوا بنا مع كثرتنا.

والله غالب على أمره، وهو ولينا ونعم النصير.

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ۖ ﴾ (٢)

(١) الآية ١٢٢ من سورة طه.

(٢) الآية ١٠٢ من سورة النساء.

## واجب الأزهر في نشر الثقافة الإسلامية الصحيحة

### واللغة العربية في ربوع العالم

كان الأزهر وما يزال في موضع الصدارة بين دور العلم في العالم الإسلامي، تدرس فيه كافة العلوم والمعارف في القرون المتعاقبة التي مرت به، وهو قائم شاهق بأروقته ومآذنه وقبابه ينير ولا يثير، يحفظ ولا ينسي، يجد ويجتهد في صنع أهل العلم المتميزين في صفوفه وأنواعه، فعلم الدين بفروعها من الفقه وأصوله، والتفسير للقرآن الكريم وسائر العلوم المتنوعة، والحديث عن رسول الله - ﷺ - وسيرته العظيمة، وعلوم اللغة العربية بأنواعها من: نحو وصرف وعلوم البلاغة وفقه اللغة وغيرها من الآداب والتاريخ والسير، كما كانت تدرس فيه الرياضيات والعلوم والحساب والجبر والهندسة والفلك والميقات والطبيعة والكيمياء فضلاً عن علم المنطق والجغرافيا والفلسفة والطب والصيدلة.

ولقد ألف علماؤه وخريجوه في هذه العلوم المتنوعة، فأجادوا وأقادوا، ولم تكن مهمة علماء الأزهر الشريف منحصرة في إلقاء الدرس على الطلاب فيه فحسب، بل فكروا في الجماهير الإسلامية التي لم تحظ بالجلوس في حلقات الدراسة، فأرسلوا وفوده إلى شتى بقاع العالم الإسلامي وفي ربوعه، يتصلون اتصالاً مباشراً بالشعوب الإسلامية، عامةً، وأقاليم مصر بوجه خاص: في مساجدهم، وفي أفراحهم ومآتمهم، وأسواقهم، ونواديهم، مبشرين ومنذرين وناصحين، عاملين على إزالة الخلاف والخلاف والثقافة بين الناس، ويجمعون المتخاصمين صلحاً ووفقاً، ويعملون في المدارس والجامعات العربية والإسلامية، حملاً لتبعية الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ونشر وإشاعة الثقافة الإسلامية الصحيحة بين



## الدعوة إلى الله

جماهير الأمة الإسلامية في عرض شيق، وصورة صحية، تقوية للوعي الديني والخلقي والاجتماعي، وبعثًا للانتماء الوطني والإسلامي في نفوس الشعوب الإسلامية، وتثقيفها بالثقافة الحرة، التي لا تخضع لقيود المعاهد والمدارس، ودراسة المشكلات الاجتماعية بين الأفراد والأسر والجماعات، والسعي إلى حلها في نطاق الإسلام وعقيدته وشريعته، مع الإسهام الإيجابي في الدعوة إلى العمل والإنتاج، وإرساء قواعد العدل والتعاون على البر والتقوى.

وها هو الأزهر يواصل رسالته، ويساعد على التوسع في أدائها سرعة المواصلات والاتصالات في هذا العصر المتوثب في كل شيء، فهو يرسل علماءه بالآلاف إلى الشعوب الإسلامية معلمين ودعاة دون من ولا أذى.. ينشرون صحيح العلوم والمعارف ووسطية الإسلام، ويعلمون اللغة العربية لغة القرآن.

ثم ها هم طلاب العلم الوافدون إليه من كل صوب وحذب في العالم الإسلامي يقيمون للتعليم، ويعودون إلى بلادهم، رافعين راية الإسلام، وشارحين تعاليمه.

وها هم خريجو الأزهر يقدمون علومه في الجامعات المصرية والعربية والإسلامية، حيث يقومون على تدريس علوم الشريعة الإسلامية، وفي المدارس المصرية آلاف من خريجي الأزهر، يعلمون النشء ويشاركون في تربية الأجيال، ومنهم من يقيم العدل بالعمل في القضاء والمناصب الإدارية في مصر وغيرها من الدول العربية والإسلامية ومنهم من يقوم على تحقيق كتب التراث وينشرها، وهم بذلك يرفعون علم الفكر الإسلامي، ويعلمون منارته، ثم هؤلاء الذين يتخرجون من الطلاب الوافدين، لهم دور كبير في خدمة المكتبة الإسلامية والعربية حيث ينقلونها إلى لغات شعوبهم؛ ذلك لأن الفكر العربي والإسلامي سباق، وهو لهذا مرجع كل الباحثين في هذه الدراسات.



## واجب الأزهر في نشر الثقافة الإسلامية الصحيحة

وليس هذا شأن الطلاب المسلمين الوافدين بحسب، بل إن كثيراً من الراغبين في الوقوف على الثروة العلمية العربية والإسلامية من غير المسلمين، لا بد لهم من تعلم اللغة العربية والتعمق فيها، وهم يجدون في إنتاج الأزهر ما يغني ويعين. ومجلة الأزهر التي تصدر في غرة كل شهر قمري، تحمل رحيقاً سائغاً شرابه، صفيّاً من صنوف الثقافات والمعارف الإسلامية، وتصل الماضي بالحاضر مع ارتباط آفاق المستقبل، وملحقها الشهري يطوف بالقارئ آفاقاً متنوعة من الفتوى والتاريخ والأدب.

وبعد....

فلقد تبوأ الأزهر - منذ كان ولآن - مكانةً عاليةً في الدراسات المتنوعة: الإسلامية والعربية والعلوم والمعارف التي استحدثت على مرّ القرون العشرة التي مضت من حياته المديدة - إن شاء الله - فكان - بحق - رائداً في المجالات العديدة، وصار الناس في العالم الإسلامي يرسلون علماءه، يأخذون عنهم العلوم والفتيا، لأنه يعتبر - بحق وصدق - مُعَبِّراً عن وسطية الإسلام وعدله، يعمل بحكمة وروية، لبيان حكم الإسلام في كل جديد من الحادثات والصنائع، محققاً مقولة: إن شريعة الإسلام صالحة لكل زمان ومكان؛ لأنها من عند الله:

﴿ أَفْحَكَمَ الْجَاهِلِيَّةُ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾<sup>(١)</sup>

(١) الآية ٥٠ من سورة المائدة.



## **دور الأزهر في تحقيق التآلف والتضامن بين الشعوب الإسلامية**

لقد عايش الأزهر الشريف - منذ أن كان - المسلمين في أفراحهم وأتراحهم، وحفظ لهم كنوز العلم في رحابه وبين جدران أروقته، تثقف الفحول من أبناء المسلمين من شتى بقاع أرض الإسلام.

لقد عايش الأزهر الشريف المسلمين فكرياً وعقائدياً وسياسياً؛ فكان لهم - على اختلاف مواقعهم على أرض الله وتنوع لغاتهم وألوانهم - سنداً ومدداً، عندما تعرضت بعض البلاد للغزو العسكري والفكري، وعندما انتكست الثقافة الإسلامية في بغداد على يد التتار، وعندما انحسر الحكم الإسلامي عن أسبانيا، ووقع العدوان على المساجد والمدارس، والمسجد الأقصى والقدس والعدوان الصليبي كان الأزهر الشريف في كل هذه المحن محط آمال علماء الإسلام، يقدون إليه فتشتد به عزائمهم، وهو بهم ومعهم يقاوم التيارات المنحرفة، ويصل الثقافة الإسلامية بتاريخها المتألق، وكان وما يزال المنارة المنيرة في الظلام الذي خيم في فترات متعاقبة على الأمة الإسلامية، يشع ضوءه الفكري فيسري إلى كل أنحاء بلاد الإسلام رافعاً لواء الحق، يجمع ولا يفرق، ويصون الود والعهد ولا يبدد.

وإذا كانت المساجد الإسلامية - بوجه عام - قد قامت بأدوار هامة في تاريخ الأمة الإسلامية؛ فإن الجامع الأزهر الشريف - كان وما يزال - يؤدي أدواراً علمية خالدة.

لقد بعث بجهده - ونشر أشعة العلم والعرفان في أقطار العالم الإسلامي - حفظ اللغة العربية - والثقافة الإسلامية ونماها - وما يزال -، لاسيما في العصور التي وقعت بلاد المسلمين فريسة الاستعمار الغربي.

## الدعوة إلى الله

وهو مع هذا يطارد الإلحاد والانحرافات والمذاهب الهدامة ودعاة الفوضى والانحلال.

إنه يطارد الشكوك والحيرة، وهو بهذا يناهض الشقاء في العالم الإنساني، إذ لا شقاء أبين من شقاء الحيرة والشك حين تضطرب بهما النفوس.

وما هو الأزهر لم يكتف - منذ أن كان وللآن - بأن يؤدي دوره نحو الإسلام والمسلمين في موقعه فحسب، بل إنه فتح بابه ورحابه وأروقتة لأبناء المسلمين يفدون إليه من جميع الشعوب ينهلون من العلوم النافعة للدين والدنيا، ويعودون إلى أقوامهم مبشرين ومنذرين، يصححون العقيدة، وينشرون الشريعة، وقد تحلوا بأخلاق الإسلام التي عرفوها خيراً كثيراً، فأخرج بجهد المشكور بشراً سوياً - بالإسلام - من ظلمة إلى نور استنقذهم من شر مستطير إلى خير كثير وفير، والتقى في حلقات الدرس به الوافدون، فتألفوا وتحابوا - وصاروا بحمد الله - إخواناً، وما يزال الأزهر الشريف يستقبل الآلاف من رواد العلم وطلابه.

وليس هذا فحسب دور الأزهر في تحقيق التآلف والتضامن بين شعوب الأمة الإسلامية، ولكنه مع هذا يبعث علماء إلى هذه الشعوب في مواقعها، يعايشون إخوانهم، وينشرون بينهم عقيدة الإسلام السمحة، ويبثون نصائحهم وإرشاداتهم، وينقلون إليهم من الجامع الأزهر الشريف مائدة القرآن الكريم، والعلوم التي انبثقت من آياته، باعتبار أن الأزهر هو المستقر الذي أوت إليه علوم الدين واللغة بل وعلوم الدنيا.

إن الأزهر الشريف لم يعد بمعاهده وكليات جامعته في مصر وحدها، إنما امتدت معاهده وكلياته إلى خارج حدود مصر، في الشرق الأوسط، وفي غربه، وفي شماله وجنوبه، فهو بمثابة العروة الوثقى التي يلتقي معها وبها كل المسلمين،

## دور الأزهر في تحقيق التآلف

مآثره من مآثر الروح الإسلامية التي تأبى أن تنطفئ أنوارها أو تنطوي صحائفها.

وعالم الأزهر الشريف فسيح مترام لا تحده الحدود والقيود والسدود، إنه عالم القلوب التي تسعى بالجهد الإسلامي الدؤوب في كل درب وسبيل في العلوم والفنون المتنوعة وأساليب الحكم، ومناهج الشرع، والدعوة إلى الخير. إنه يعمل ويجد ليحقق للمسلمين أملاً دعاهم الله إلى أن يعتنقوه:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝﴾<sup>(١)</sup>

(١) من الآية ٢ من سورة المائدة.





## كيفية مشاركة الأزهر في صياغة

### نظام إنساني عالمي

#### كيف ترون مشاركة الأزهر الشريف في صياغة نظام إنساني عالمي؟

هذا الإنسان صنع الله الذي أتقن كل شيء، خلقه فسواه، قامة مديدة مستقيمة، في هيئة سوية انقرد بها عما سواه من خلق الله ومنحه عقلاً به يعرف الرشد من الغي:

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿١﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٢﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿٣﴾ ﴾<sup>(١)</sup>

وقال تعالى أيضاً:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٤﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٥﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٦﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿٧﴾ ﴾<sup>(٢)</sup>

هذا الإنسان الذي إذا أكرمه الله وكرمه، انتشى ونسي الرب الذي أكرمه ونعمه، وإذا ابتلاه اشتكى وبكى، ولم يذكر الله جحوداً للنعمة وعصيانياً - سبحانه -:

﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ ﴿١﴾ وَنَعَّمَهُ ﴿٢﴾ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿٣﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ﴿٤﴾ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿٥﴾ ﴾<sup>(٣)</sup>

(١) الآيات ٨ : ١٠ من سورة البلد.

(٢) الآيات من ٧ : ١٠ من سورة الشمس.

(٣) الآيتان ١٥ و ١٦ من سورة الفجر.

## الدعوة إلى الله

هذا الإنسان أرسل الله إليه الرسل المتعاقبين:

(١) ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾

وكان الإسلام الدين الخاتم من عند الله، كما كان رسوله سيدنا محمد - ﷺ - خاتم النبيين إلى الناس كافة بالهدى ودين الحق. وفي كتابه القرآن تذكرة للناس، ودعوتهم إلى الأخوة الإنسانية، وعودة بهم إلى الأب الأعلى آدم، والأم العليا حواء.

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢)

وفي قوله تعالى أيضاً:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٣)

وهكذا نرى أن الإسلام اتجه في دعوته إلى استتارة الحس والمعاني الإنسانية لدى الناس جميعاً ليتعارفوا ويتألفوا، ويكونوا المجتمع الإنساني الذي يحقق أهدافه وغاياته، التي خلق من أجلها، وجماعها: إعمار هذا الكون بالعبادة لله وحده، وبالعلم والعمل المثمر.

(١) الآية ٦ من سورة الزخرف.

(٢) الآية ١ من سورة النساء.

(٣) الآية ١٣ من سورة الحجرات.

## كيفية مشاركة الأزهر في صياغة

وإذا كان الأزهر الشريف قد حمل لواء الإسلام، وشرف بنشر علوم القرآن والسنة الشريفة، فضلاً عن الحفاظ عليهما في الصدور علماً وعملاً، فضلاً عن الحفظ المسطور، إذا كان هذا؛ فهو - ولا شك - مشارك في العلاقات الإنسانية؛ لأنه يحمل دعوة الإسلام الذي تحدث كتابه - القرآن - عن الإنسان بأبلغ وأجمل ما يكون الحديث والبلاغ.

والأزهر الشريف من أكثر من عشرة قرون من الزمان يمثل الإسلام في كل رأي يبدية، والقرآن يتحدث به ويبلغه الأزهر إلى الناس كافة، بسلم وسلام في كل شيء وكل حال، ألم يقل القرآن:

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾<sup>(١)</sup>

ألم يقل القرآن في السلام الديني:

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ<sup>ط</sup>  
وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ  
مُسْلِمُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>

ليس الآن فحسب، بل منذ كانت رسالة الإسلام، ومنذ كان الأزهر، وما يزال في منهج الأزهر وخطته إبراز دعوة الإسلام السلام، والمواخاة واحترام الرأي الآخر، والأزهر يشارك في كل عمل جماعي لخير الإنسانية، وكان صوته ورأيه في

(١) من الآية ٨٣ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٤٦ من سورة العنكبوت.

## الدعوة إلى الله

مؤتمر الأديان ببروكسل عام ١٩٣٦، وفي باريس عام ١٩٣٩، التزاماً بمنطق الإسلام، وما يزال الأزهر وعلماءه في كل مكان يلتزمون بمنطق الإسلام في مواجهة الجديد من الأحداث، وبقناعة تامة لم تختلف كلمة الأزهر اليوم عنها بالأمس؛ لأن المصدر واحد، هو: القرآن وسنة رسول الله - ﷺ - أليس في القرآن قول الله - سبحانه -:

﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ تُخْرِجُوهُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (١)

هذا هو الإسلام، وهذا الذي يجري عمل الأزهر الشريف في نطاقه : إنه يواجه الأحداث بمنطق القرآن، لم يسلك طريقاً أو طرقاً معوجة ولم يمار بالباطل؛ لأنه يعرف أن الشر قضية خاسرة، ولم يكره أحداً على فكر، وإنما يعرض على الناس الفكر الرشيد الخالص لله لصالح الإنسانية عامة والمسلمين خاصة.

إن الأزهر الشريف يرحب بنظام إنساني تتزامن فيه ديانات السماء، لإصلاح الحياة الإنسانية، وتبرئتها من الإباحية المطلقة، ومن الانتهازية الملققة، نظام يحافظ على ما بقي في النفوس من هبة واحترام للدين، ودرء الأخطار التي تحيط بالإنسانية بقصد استظهار حيوانية الإنسان وتغليبها على إنسانيته، والبعد عن تنمية الشعور الديني بالأحقاد والضعائن، إذ ذلك يؤدي إلى إشعال البغضاء بين بني الإنسان، وازدياد الفساد في الأرض.

(١) الآية ٨ من سورة الممتحنة.

## كيفية مشاركة الأزهر في صياغة

إن الأزهر يبتث على لسان علمائه إشاعة المحبة والمودة بين بني الإنسان جميعاً، دون تفرقة بسبب الدين أو اللون أو اللغة أو الفقر أو الغنى.  
إن كثيراً من جوانب الحياة إنساني، تشترك فيه الأديان السماوية جميعاً والأزهر الشريف يدعو إلى التقاء الناس جميعاً على أساس:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(١)</sup>

فليحتفظ كل فريق بدينه العقدي، ولنترك العقل والمنطق يعملان دون إكراه أو إغراء.  
إن الإسلام الذي يحمله الأزهر ويعمل به قد حذر من التعرض لمخالفه ماداموا مسلمين، لم يأذن بقتال إلا في نطاق محدد ضيق بنص القرآن الذي يقول:  
إن الأزهر مشارك بالفعل في الدعوة إلى السلام الاجتماعي عامة، والسلام بين الأديان خاصة، ولكن الوليد ما يزال في دور التكوين، ولن يكون الإجهاض إلا من قبل من لم يؤمنوا بحقوق الإنسان وأهمها السلام:  
مع الله، ومع النفس، ومع الناس.

(١) من الآية ٢ من سورة المائدة.



## حوار الثقافات العالمية ودور الأزهر فيه

### وكيف يكون فعالاً؟

لا يجادل أحد في أن حركة الفكر والثقافات الإنسانية ودورانها على جنبات هذه الأرض أمر واقع منذ أن كان بنو الإنسان شعوباً وقبائل يتعارفون باللغات المنطوقة والصور المرسومة أو المحفورة، يتناقلون المعارف والعلوم والصناعات ويتصادمون، في الفكر وفي ميدان الحرب. وكل ذلك وأولئك يستتبع الاختلاف في التخاطب. والتعرف على الأسماء والمسميات والمصطلحات والثقافات، فهو حوار عالمي دائم بالمقال وبالأفعال يصل الإنسان بأخيه الإنسان صلة مباشرة بالمواجهة وبالمواصلة وبالانتقال إلى طلب العلم والمعرفة والحرف.

وها نحن إذا راجعنا تاريخ الحركة الثقافية العالمية سنجدتها تناقلت وتلاقت بين الشعوب والقارات منذ القدم؛ فالثقافة اليونانية والرومانية والفارسية ثم الثقافة الإسلامية التي التقت مع هذه الثقافات وتبادلت معها علومها ومعارفها ولغاتها بعد أن اندمج كثير من شعوبها مع المسلمين؛ إما مواطنين يزاولون علومهم ومعارفهم ونشاطاتهم الحياتية في أمن وحرية، وإما أولئك الذين تعرفوا على الإسلام ديناً قوياً وبعقيدته وشريعته وأدابه وأخلاقه وسلوكياته، وحده على تنمية العلوم والمعارف والفنون المتنوعة، ترقية لأذواق الشعوب التي انتمت إليها وصارت عضواً في دولته واندمجت بتراثها الفكري والثقافي حتى التأمت وتواعت مع الفكر الإسلامي وثقافته.

وجاء دور الأزهر الشريف منذ انفتحت أبوابه للصلوات ولجالس العلم وحوار العلماء ليجعل دور المسلمين والإسلام في حوار الثقافات عالمياً، فيتخذ لذلك من



الوسائل أدومها وأقدرها على التفاعل مع كل تلك الثقافات؛ وذلك حتى ينقي خبثها ويستبقي خيرها الذي يعين على تنقية المعارف العامة المؤثرة في توفير سبل الحياة الكريمة للأمة الإسلامية. فكانت أروقة الأزهر الشريف موئلاً للطلاب من كافة الشعوب في العالم، تنصهر باجتماع علومهم ومعارفهم وعاداتهم وأخلاقهم، وتتفاعل حتى تبرز نمطا ثقافياً مجلواً بالصدق والحق يتسم بسمات الإسلام في السلام والوداعة والحمية الحقة لإرساء دساتير لحياة بني الإنسان في نقاء وصفاء توجه إلى احترام حقوق الإنسان:

كل إنسان، لا فضل لعربي على غيره ولا لأبيض على أحمر أو أسود، كلهم أخوة في الإنسانية ثم الإسلام وأي أثر فعال من اللقاءات، والمحاورة في حلقات الدرس، وفي التعايش في الأروقة. حتى إذا ما أتم الطلاب علومهم وتأهلوا بأنواع الثقافات والمعارف، عادوا إلى شعوبهم مبشرين ومنذرين ينقلون إلى تلك الشعوب ما حصلوا من المعارف.

ووسيلة أخرى لا تقل فعالية وقوة عن سابقتها هي إيفاد علمائه إلى شعوب الأرض ينشرون العلم والثقافة والمعارف المنتقاة، التي هي خلاصة مستخلصة من كل الشوائب وثقافة تدور في كل الشؤون والشجون واجتماعيات وأخلاقيات وسياسات تنطلق بتجارب الحياة وضوابط ومعايير الإسلام التي تنبع من نصوص القرآن، الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من أي جهة المحفوظ بحفظ الله الذي أنزله على رسول الله - ﷺ - بشيراً ونذيراً. مع هاتين الوسيلتين الفعالتين يسهم علماءهم وطلاب العلم في أرجائه وأروقته في اللقاءات الثقافية في ربوع العالم؛ فهم يشاركون في المؤتمرات المتنوعة في أماكنها وموضوعاتها علماً وعملاً، ولقد تكاثرت وفود طلاب العلم على الأزهر باعتباره الجامع والجامعة وصاحب الأثر

## حوار الثقافات العالمية ودور الأزهر فيه وكيف يكون فعالاً؟

الباهر الخالد الذي صاحب الزمان في عشرات القرون، ما فترت همته عن أداء رسالته وما غاب عن قومه بل عن أمته الإسلامية في شتى مواقع شعوبها، فهو معهم على أرضهم بأبنائهم الذين عادوا إليهم بعد أن تزودوا منه وفي رحابه بالعلم والثقافة النافعين، وهو مع كل هذا يسعى بمعاهده وكليات جامعته وبعلمائه إلى كافة أنحاء الأرض في المراكز الثقافية وفي الجامعات والمعاهد العلمية إيماناً بأن بني الإنسان إنما ترتقي معارفهم بحوار الثقافات والمعارف.



## قوة الأمة في وحدتها

إن الله - سبحانه - جمع أمة الإسلام على قبلة واحدة وفروض معدودة في أوقات محدودة، ليكون ذلك منهجاً لهذه الأمة تحتذيه في كل أمورها. ووجههم إلى هذا في العديد من آيات القرآن مثل قوله - سبحانه -:

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (١)

وقد استقام أمر المسلمين وكانت لهم مكانتهم في هذه الحياة بين أمم الأرض، وأفادوا الدنيا بعلومهم ووضعوا دساتير الحكم وقوانين مستمدة من شريعة الإسلام فاستقامت بهم العدالة وتوفر الأمن والأمان. وكان الإسلام هو نسبهم وهو جنسيتهم التي بها يعرفون، وإن اختلفت لغاتهم وألوانهم، لأن ربهم قال لهم في كتابه:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢)

هكذا صنع الإسلام الأمة وبنائها جسداً واحداً، بقلب واحد كما عبر رسول الله ﷺ - في قوله: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر".

إننا نذكر ما رواه التاريخ في الفتنة التي وقعت بين المسلمين بعد مقتل - عثمان - رضي الله عنه - واقتراق الأمة شيعاً، يقاتل بعضها بعضاً، في هذا الوقت،

(١) الآية ٩٢ من سورة الأنبياء.

(٢) الآية ١٠ من سورة الحجرات.

## الدعوة إلى الله

والنزاع على أشده بعث قيصر الروم إلى معاوية يعرض عليه مدداً في قتال علي بن أبي طالب.

فماذا كان جواب معاوية؟، مع أنه كان في حاجة إلى المدد والسند، قال لقيصر كلمة نحن في حاجة إليها الآن: "لا حاجة بنا إلى شيء مما قلت، فإما كفت وانصرفت، وإلا بعثت إليك بجيش أوله عندك وآخره عندي حتى يملك به صاحبي ما تحت قدميك".

بهذا كان الخلاف بين الرجال المسلمين، لا يستنجدون بعدو على أمتهم وإنما كانوا رجالاً واحداً إذا أحاط بهم السوء نسوا خلافاتهم وأماتوا ما بينهم من نزاع ووقفوا صفاً واحداً وقلباً واحداً، يدافعون عن أمتهم وعن أمنهم وسلامتهم حماية لدينهم الذي ارتضاه لهم ربهم.

وها هم المسلمون اليوم في شتات بعد أن ظهرت بينهم العصبية والشعوبية. ولقد كشف لنا رسول الله - ﷺ - في حديثه الشريف هذه الحالة، فقال: "يوشك أن تتداعي عليكم الأمم، كما تداعي الأكلة إلى قصعتها". قالوا: "أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟" قال: "بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة من قلوب أعدائكم، ويلقين في قلوبكم الوهن" قالوا: "وما الوهن يا رسول الله؟" قال: "حب الدنيا وكراهية الموت"<sup>(١)</sup>.

نعم هذه أرض المسلمين تنتقص من أطرافها، فمنذ بضع مئات السنين وفي غمرة الشقاق والنزاع بين حكام المسلمين، ضاعت الأندلس. وفي عصرنا هذا، ونحن شهود ضاعت فلسطين، ونحن من حولها نتنادى بالويل والثبور وعظائم الأمور، لكل من ينصح أو يذكر بالوحدة. واتخذوا لهم قبلة غير قبلة المسلمين،

(١) سنن أبي داود.

## قوة الأمة في وحدتها

واحتموا بأعدائهم، بل واتخذ كل لنفسه سنداً وظهيراً ينتسب إليه، فانحل رباط الأمة، وتفسخت أوصالها وتحاربت جنودها.

إن الدين عند الله الإسلام، وإن رسولنا محمداً - ﷺ - قال: "الدين النصيحة". قالوا: "لمن يا رسول الله؟" قال: "لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم".<sup>(١)</sup> وها نحن ننصح أمة المسلمين شعوباً وحكاماً، أن ينزعوا الغل والخصام من قلوبهم، وأن يتجاوزوا هذه الخلافات والمنازعات، وأن يكونوا يداً واحدة، وقلباً واحداً، وأن يجتمعوا على مائدة القرآن وعلى شرع الإسلام: يقول الله عز وجل:

((وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا<sup>(٢)</sup>))

كونوا على قلب رجل واحد، فإن الله - سبحانه - قد هيا لهذه الأمة كل سبل الوحدة، كما قلت: لغة واحدة، وقرآناً واحداً، وقبلة واحدة، وعادات واحدة. فكيف تتفرقون حتى يتخطفكم الناس من حولكم؟ كيف تتنازعون حتى استأسدت الجردان والخفافيش التي كانت تعيش في الظلام وفي تيه الشعوب الأخرى؟ إن مثلاً واحداً قريباً لابد أن نذكره ونستعيده، ذلك هو: حرب رمضان (أكتوبر ١٩٧٣).

لقد كانت وقفة العرب مجتمعين لها وزنها وقدرها بين شعوب الأرض حتى أحس كل الطغاة أن العرب أمة لها وزنها في تسيير دفعة هذه الحياة. إن لدى العرب المال والرجال والزراعة والتجارة ومعهم كل أسباب القوة المادية، وقبلها قوتهم الإسلامية.

(١) مسند أحمد عن ابن عباس.

(٢) من الآية ١٠٣ من سورة آل عمران.



## الدعوة إلى الله

فعلى العرب أن يذكروا وقفتهم القريية في حرب رمضان، وليرفعوا رايات السلام فيما بينهم ويمدوا حبل المودة والمحبة والإخوة، وليعتصموا بالوحدة التي وهبهم الله عناصرها:

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١﴾﴾

بهذا يعودون أمة مهابة، تحمي نفسها، ويرتفع قدرها، فإن عالم اليوم لا مكان فيه للضعفاء. إننا نرى الدول الغربية التي لا رابطة بينها تترايط وتتكتل في مجموعات سياسية واقتصادية مع اختلاف لغاتها، وتباين عاداتها، فما بالنا وقد توافر لدينا كل أسباب الوحدة، نتجاوزها مستبدلين بها الفرقة والاختلاف.

يقول الله:

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ ۚ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۚ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿٢﴾﴾

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. والحمد لله رب العالمين.

(١) الآية ١٠٣ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ١١ من سورة الرعد.



## الفهرس الموضوعي

الصفحة	الموضوع
٥	تعريف
٧	مقدمة
١١	الدعوة إلى الله
٢٣	الاقتصاد الإسلامي وأسه في القرآن والسنة
٢٣	هموم المسلم المعاصر وملامح هذه هموم من منظور إسلامي
٢٧	حقوق الإنسان والمنظور الإسلامي
٤١	تعالوا إلى كلمة سواء (الجدل حول تطبيق الشريعة)
٤٩	الأقليات الإسلامية
٥٣	العبادة والعمل
٥٧	رعاية الإسلام للمصلحة وتيسيره على الناس
٦١	الإسلام رسالة عالمية يخاطب الناس جميعاً على أساس العدالة والمساواة
٦٥	المصالح المعتبرة في الإسلام
٦٩	منهج التدين في الإسلام
٧٣	دور المسجد في التوجيه الاجتماعي للمجتمع الإسلامي
٧٧	الإسلام والسلام
٨٣	الإسلام والسلام (السلام مع الله)
٨٧	الإسلام والسلام (السلام مع النفس ومع الناس)
١٠١	دعائم الوحدة بين المسلمين
١٠٥	حرص الإسلام على طهر الغاية وشرف الوسيلة
١٠٩	الإسلام دين إنسانية

الصفحة	الموضوع
١١٣	العقيدة وأثرها في الإصلاح
١١٩	الأموال في الإسلام
١٢٣	الأموال واستثمارها في الإسلام (١)
١٢٩	الأموال واستثمارها في الإسلام (٢)
١٤٧	من يسر الإسلام و آدابه
١٥١	العلم والتعليم في الإسلام
١٥٩	أهمية النية في الإسلام
١٦٣	نظرة الإسلام إلى المال والعمل
١٦٧	تكريم الله للإنسان وحرمة قتل النفس إلا بالحق
١٧٣	المسلم كيف يكون مع خالقه ومع مجتمعه؟
١٧٧	من اجتماعيات الإسلام حق الطريق (١)
١٨٣	من اجتماعيات الإسلام حق الطريق (٢)
١٨٧	من اجتماعيات الإسلام حق الطريق (٣)
١٩١	من وسائل بناء الشخصية في الإسلام
١٩٥	إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
٢٠١	واجب الأزهر في نشر الثقافة الإسلامية الصحيحة واللغة العربية في ربوع العالم
٢٠٥	دور الأزهر في تحقيق التآلف والتضامن بين الشعوب الإسلامية
٢٠٩	كيفية مشاركة الأزهر في صياغة نظام إنساني عالمي
٢١٥	حوار الثقافات العالمية ودور الأزهر فيه، وكيف يكون فعالاً؟
٢١٩	قوة الأمة في وحدتها